نبذة من

السياسة الحسينية

تأليف العلامة الكبير

الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء

المتوفى ١٣٧٣هـ

تحقيق

علي جهاد آل باقر الداقوقي

دار المحجة البيضاء



نبذة من

السِّيَاسَةِ الحُسَيْنِيَّة


بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة من

السياسة الحسينية

تأليف العلامة الكبير

الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء

المتوفى ١٣٧٣ هـ

تحقيق

علي جلال باقر الداقوقي

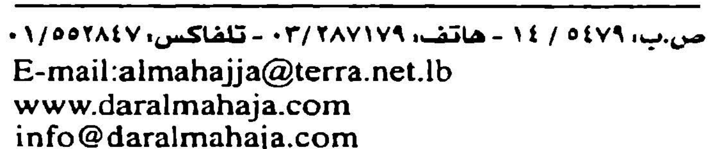
دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م






الرويس ـ مفرق محلات محفوظ ستورز

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

الإهداء

إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام

وإلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام

وإلىٰ أولاد الحسين عليهم السلام

وإلىٰ أصحاب الحسين عليهم السلام

الّذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام

أُهدي هذا الجهد البسيط عسىٰ أن ينال رضاهم

راجياً منهم الشفاعة..

أضعف مواليكم

علي الداقوقي

مقـدّمة التحقيـق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، محمّد ﷺ خاتم النبيّين ، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين ، ولا سيّما بقيّة الله في الأرضين ، واللعن الدائم على أعدائهم ومن والاهم أجمعين ، من الآن إلى قيام يوم الدين .

أمّا بعد . .

الحديث عن السياسة والسياسيّين بالمفهوم العامّ والمطلق وعلى مرّ العصور يعني الحديث عن تجاذبات ومشادّات واختلافات في وجهات النظر المتباينة بين هذا وذاك ، سواء بين جماعتين مختلفتين ، أو بين أنصار الجماعة الواحدة ، وذلك بسبب الاختلاف الحاصل في الآراء والأفكار والرؤى التي تتبنّاها كلّ جهة أو كلّ شخص .

ومن أجل أن يمرّر كلّ طرف سياسته الخاصّة ، أو يفرض آراءه ومعتقداته وأفكاره ، عليه أن يعتمد على مبدأ المناورة والتلاعب بالألفاظ ، وقد يصل الأمر أحياناً إلى أن يتنازل عن القيم والمبادئ التي يؤمن بها ،

وآعتماد مبدأ (الغاية تبرّر الوسيلة) من أجل الوصول إلىٰ ما يصبو إليه.

وقد نقل لنا التاريخ القديم والحديث كيف أنّ الّذين اشتغلوا بالأُمور السياسية والقضايا السلطوية كانت لهم أساليب وطرق نستطيع أن نعدّها غير شرعية ـ والمقصود بغير الشرعية هنا إمّا أن تكون مخالفة للشرائع السماوية، أو للقوانين الوضعية المانعة لمثل هذه الأساليب، وهذا ممّا يمكن القول عنه بالمصطلح الرياضي الحديث: «الضرب تحت الحزام» ـ للوصول إلىٰ المناصب العليا والتبختر ببهرج السلطة وزخرفها.

وهذه السياسات المتّبعة للوصول إلىٰ السلطة وسدّة الحكم تدفع بالفرد إلىٰ التشبّث بها والاستماتة من أجلها ولو كان الثمن هو تحوّله إلىٰ دكتاتور ومجرم وقاتل للنفس المحترمة ومرتكب لكلّ كبيرة، كما فعل ملوك بني أُميّة وبني العبّاس.

فهذا يزيد بن معاوية ارتكب أبشع الجرائم، وآستباح كلّ محرّم، من أجل الحفاظ علىٰ تركة أبيه وسلطانه، والجلوس مجلسه، وهذا هارون العبّاسي يقول لابنه وفلذة كبده: «والله لو نازعتني الملك لأخذت الذي فيه عيناك، فإنّ الملك عقيم»[١].

وعصرنا الحالي مليء بمثل هذه الشواهد، فمعظم الثورات والانقلابات ـ إنْ لم نقل كلّها ـ التي تحدث هنا وهناك من أنحاء العالم، ولا سيّما عالمنا العربي والإسلامي، قوامها الغدر والقتل والتدمير والعنف وسفك الدماء وإزالة الخصوم والمعارضين لهم بشتّىٰ الوسائل.

فكلّ الأُمور التي ذكرناها نجدها في سلوك وسياسة أُناس عاديّين

---

(١) آنظر: الاحتجاج ٢/١٦٦، عيون أخبار الرضا ٢/٨٦.

تتحكّم فيهم الأهواء، انطلاقاً من الأنـانية، تـؤثّر فـيهم المـطامع الدنـيوية والمصالح الشخصية، وهوىٰ النفس.

أمّا عندما يكون الحديث عن سـياسـة وسـلوك رجـل مـثل الإمـام الحسـين عليه‌السلام، الذي عصمه الله تعالىٰ من كلّ خطأ وزلل، بنصوص قرآنية كريمة وأحاديث نبويّة شـريفة، تكاد لا تخفىٰ عـلىٰ ذوي العـقول النـيّرة والضمائر الحيّة البعيدة عن التعصّب الجاهلي، فالأمر يكون مختلفاً تماماً.

فالإمام الحسـين عليه‌السلام ليسـت السلطة مبتغاه، ولا الحكم غاية مـناه، فهو كالكعبة يؤتىٰ ولا يأتي، وأفعاله لا تكون انعكاساً للنزوات والشـهوات الدنيوية والأهواء، أو طبقاً لدوافع عاطفية أو عشـائرية ناتجة عن خـلاف نشب بينه وبين بني أُميّة، أو غيرهم؛ فإنّ كلّ هذه الأُمور لا تعني عند الإمام الحسـين عليه‌السلام شـيئاً، فإنّ ما يعنيه هو:

١ ـ موقفه الشـرعي من بني أُميّة، الّذين تسـلّقوا إلىٰ قمّة السـلطة، وتربّعوا علىٰ كرسـي الحكم، واتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، دون أن يكونوا أهلاً لقيادة هذه الأُمّـة.

أضـف إلىٰ ذلك علمه سـلام الله عليه بمدىٰ أثر هذا الأمر علىٰ جـدّه رسـول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، الذي لم يُـرَ مبتسـماً بعد أن أراه الله عزّ وجلّ نَزوَ بني أُميّة علىٰ منبره نَزوَ القردة[1].

٢ ـ خوفه علىٰ مصير الإسلام ومستقبل شريعة جـدّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، هـذه الشريعة التي أصبحت عرضةً للتحريف والتزييف والتبديل من قبل حكّام

(١) أنظر تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن** ﴾، سورة الإسراء ١٧: ٦٠، في تفاسـير الفريقين.

الجور والظلم، ولا سيّما بني أُميّة، هذه الشريعة التي ضحّىٰ من أجل تثبيت دعائمها جدّه وأبوه وأخوه، روحي وأرواح العالمين لهم الفداء، فقد قال عليه السلام في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفيّة حين أراد الخروج من المدينة:

«... وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله وسلم، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أَوْلىٰ بالحقّ، ومَن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتّىٰ يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»[1].

وبما أنّ فِعل الإمام عليه السلام وتقريره وإمضاءه حجّة؛ لعصمته، فإنّ سياسته عليه السلام، بمعنييها الخاصّ والعامّ، كانت في منتهىٰ الكمال، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد قال سلام الله عليه، عندما حاول بعضهم أن يثنيه عن المسير ـ وذلك لقصور أفكارهم وعدم إدراكهم مقاصده السامية ـ أو الخروج والمسير من دون أخذ العيال والنساء معه، قال عليه السلام: «**إنّ الله شاء ذلك، وجدّي أمرني به**»، وقال عليه السلام مبرّراً لأخذه العيال معه: «**إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا**».

فتشكيك المشكّكين بسياسة الإمام عليه السلام ما هو إلّا وجهات نظر ضيّقة لا تتعدّىٰ كونها من أشخاص ينظرون إلىٰ الإمام عليه السلام كنظرتهم لأيّ قائد عسكري فاشل، لم يحسب لمعركته مع يزيد بن معاوية الحسابات

(١) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

الدقيقة والصحيحة ، دون النظر إلىٰ عصمته ومنزلته ومكانته الإلٰهيّـة .

أو من أشـخاص يحاولون تبرير ما قام به حكّام بني أُميّة من تدمير للمبادئ وللقيم السماوية ومكارم الأخلاق التي بُعِثَ النبيّ المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم ليتمّمها ، وضحّىٰ من أجلها ولده وريحانته الحسـين عليه السلام .

وبسبب هذه الأفكار القاصرة والرؤىٰ الضيّقة ترانا نسمع بـين حـين وآخـر تسـاؤلات لا تـرقىٰ إلىٰ مسـتوىٰ تـضحية الإمـام الحسـين عليه السلام ؛ تسـاؤلات لو فكّر بها أصحابها بعيداً عن التعصّب والهوىٰ لكانوا قد وفّروا علىٰ أنفسهم عناء البحث عن أجوبة مقنعة لها ؛ لأنّ للإمام الحسـين عليه السلام سياسة واضحة كوضوح الشمس ، لا تحتاج إلىٰ مزيد من التفكير للوصول إلىٰ مغزاها .

فهو عليه السلام لم يسـتخدم وسـائل غير شـرعية ولا أسـلحة محرّمة دولياً في حربه من أجل الدفاع عن شريعة جدّه ، بل اسـتخدم سـلاح التضحية بالنفس ـ والجود بالنفس أقصىٰ غاية الجود ـ والأولاد والأموال من أجـل رفع كلمة الإسـلام وجعلها هي العليا ، ودحض كلمة الباطل ـ المتمثّلة بيزيد وأعوانه ـ وجعلها هي السـفلىٰ .

ومن بين الّذين وقفوا في وجه هؤلاء المشـكّكين ـ بالأدلّة والبراهين القاطعة ـ الشـيخ كاشـف الغطاء قدس سره ، الذي عُرف بمواقفه العظيمة في الدفاع عن مذهب ونهج أهل البيت عليهم السلام ، من خلال قلمه السـيّال ، الّذي ما انفكّ يردّ المشـكّكين وأصحاب العقول المتحجّرة .

فكانت هذه الرسالة التي بين أيدينا من جملة رسائله التي سارع فيها للدفاع عن حقيقة السياسة الحسينية ، هذه الحقيقة التي حاولت يد الغـدر

والخيانة ـ من أصحاب الأقلام المأجورة من قبل ملوك بني أُميّة وبني العبّاس ، ومَن لفّ لفّهم ، وإلىٰ يومنا هذا ـ تشويهها وطمس معالمها وإطفاء نورها ، لكي لا يتسنّىٰ للناس معرفة مقدار التضحية العظيمة التي ضحّىٰ بها الإمام الحسين عليه‌السلام من أجل الحفاظ علىٰ بيضة الإسلام ، والاهتداء بهديه ، ولكي لا يطّلع الناس علىٰ سوءات بني أُميّة .

ونتيجةً لهذه المحاولات الدنيئة نرىٰ أنّ بعض ضعاف النفوس أخذوا يتخبّطون في وصفهم لخروج الإمام الحسين عليه‌السلام . .

فمنهم من جعله خروجاً عن طاعة الإمام ، حتّىٰ ولو كان هذا الإمام جائراً وفاسقاً وفاجراً .

ومنهم من جعله إلقاءً للنفس بالتهلكة ؛ لأنّه كيف لمثل الحسين وأنصاره الّذين لا يتجاوز عددهم السبعين أن ينتصروا علىٰ يزيد وجيش يزيد البالغ ـ علىٰ رأي المقلّين ـ ١٨ ألف نفر .

ومنهم من جعله صراعاً علىٰ السلطة بين بني هاشم وبين بني أُميّة ؛ لذا لا ينبغي التدخّل في صراع نشب بين أبناء العمومة .

فجاءت هذه الرسالة قولاً فصلاً ؛ لتضع حدّاً لهذه الشكوك ، ولتزيل الغشاوة عن أعين الناظرين إلىٰ السياسة الحسينية ، هذه السياسة التي أصبحت منهجاً لكلّ المظلومين وثوار العالم الّذين يرفضون الخضوع للظلم والظالمين علىٰ مرّ العصور والأزمان .

* * *

ترجمة المؤلّف[1]

هو الشيخ محمّد حسين بن الشيخ علي بن محمّد رضا بن موسىٰ ابن الشيخ جعفر ـ صاحب «كشف الغطاء» ـ ابن الشيخ خضر بن يحيىٰ، الذي يرجع نسبه إلىٰ مالك الأشتر، وهو من خاصّة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وُلد في النجف الأشرف في العراق سنة ١٢٩٤ هـ، الموافق لسنة ١٨٧٧ م .

بدأ دارساً المقدّمات ـ من نحو، صرف، بلاغة، ومنطق ـ علىٰ أساتذة هذه العلوم يومذاك في المساجد والمدارس المحتشدة بالجموع الغفيرة من روّاد العلم علىٰ اختلاف قومياتهم، فقد كانت النجف الأشرف مصدر إشعاع علمي تشَدّ له الرحال من أقطار نائية، وبدأ يتقدّم في هذا الميدان وكأنّه في حلبة سباق يطمح أن يحوز علىٰ قصب السبق، وأنهىٰ هذه العلوم في مدّة زمنية قياسية قلّ نظيرها، وأصبح مؤهّلاً بعد اجتيازه لهذه العلوم ـ المقدّمات ـ أن يرقىٰ إلىٰ علم الأُصول الذي هو ـ في الحقيقة ـ الجهاز الذي من خلاله يستنبط الفقيه فتاواه لتحديد سلوك مقلّديه وفق الشريعة الإسلامية .

---

(١) أنظر ترجمة الشيخ مفصّلاً في : مقدّمة جنّة المأوىٰ، مقدّمة المراجعات الريحانية، العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية، شعراء الغريّ، ومصادر كثيرة أُخرىٰ .

درس الفقه على فقيهين كبيرين يشهد لهما القاصي والداني بغزارة علمهما، وهما: الملّا رضا الهمداني والسيّد محمّد كاظم اليزدي، وتتلمذ في الأُصول على الملّا محمّد كاظم الخراساني، صاحب «كفاية الأُصول»، الذي هو بدوره صاحب مدرسة أُصوليّة.

وافته المنية يوم الاثنين ١٨ ذي القعدة ١٣٧٣ هـ، الموافق ١٩٥٤ م، في إيران، في مدينة (كرند)، التي سافر إليها وهو يحمل معه آلام المرض، وحُمل جثمانه من إيران إلى مدينة النجف الأشرف حيث وادي السلام (مقبرة النجف الأشرف)، ودُفن في قبره الذي أعدّه لنفسه عندما شعر بدنوّ أجله وقرب ساعته.

وأرّخ وفاته الشيخ علي البازي قائلاً:

مدينةُ العلم بكتْ قطبَها ... ومَن إلى الإسلام إنسان عين

الحجّة العظمى، مثال التقى ... فقيه شرع، شافع النشأتين

(أبا حليم) كيف يجدي البُكا ... عليك والنوحُ وصفقُ اليدين؟!

الدينُ قد أصبح ينعاك والأيّام ... التي بها انجلى كلّ رين

قد فقدت خيرة تأريخها ... (وآفتقدت فيك الإمامَ الحسين)

* * *

الرسالة وخصائصها

الطبعة المحقّقة الأُولىٰ للرسالة :

كنتُ قد قمتُ بتحقيق هذه الرسالة القيّمة فيما سبق ، وألحقتُ بها ـ في حينها ـ السؤال الوارد إلىٰ الشيخ كاشف الغطاء تِيُّ من مدينة مشيغن في أمريكا ، الآتي ذِكره بالتسلسل ١ ؛ لتعلّقه بالرسالة نفسها وما فيها ، ونُشرت لأوّل مرّة في قم وبيروت ، في مجلّة «تراثنا» الغرّاء ، الصادرة عن مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، في العددين الثالث والرابع [٧٩ ـ ٨٠] ، السنة العشرون / رجب ـ ذي الحجّة ١٤٢٥ هـ .

ثمّ بدا لي أن أُلحق برسالتنا هذه مقالتين للشيخ كاشف الغطاء تِيُّ وأجوبته عن عدّة رسائل قد وردت إليه تِيُّ من مختلف أنحاء العالم ، من أشخاص مختلفين ، كلّها ذات صلة بالموضوع وما يحوم حوله من مباحث ؛ تتميماً للفائدة ، وتعميماً للنفع .

ثمّ أفردتُها بالطبع ، مع تصحيح وتنقيح وإضافة هوامش وتعليقات نافعة .

فجاءت هذه الطبعة بحمد الله تعالىٰ مستجمعةً الحلول لِما يمكن أن ينقدح في ذهن سائل ، دافعةً لكلّ شبهة يجيء بها ماحل .

والمقالتان والرسائل ـ التي أضفناها في هذه الطبعة ـ كانت قد نُشرت من قبل في كتابه : «جنّة المأوىٰ» ، تحت العناوين التالية :

١ ـ سؤال من أمريكا ـ مشيغن ؛ عن بعض ما ورد في كتابه

«السياسة الحسينيّة».

٢ ـ معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله وسلم : **حسين منّي وأنا من حسين**.

٣ ـ حسين كتاب الله التكويني.

٤ ـ موقف الحسين عليه السلام وأصحابه يوم الطفّ.

٥ ـ هل البكاء علىٰ الحسين عليه السلام إغراء للشيعة ؟

٦ ـ التضحية في ضاحية الطفّ.

٧ ـ ساعة الوداع لسيّد الشهداء عليه السلام .

٨ ـ هل تكلّم رأس الحسين عليه السلام ؟

٩ ـ سؤال عن تضحية أصحاب الحسين عليه السلام .

النسخ المعتمدة في العمل:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة علىٰ نسختين مطبوعتين من كتاب «نبذة من السياسة الحسينية»؛ هما:

١ ـ النسخة المطبوعة في قم، الصادرة عن دار الكتاب للطباعة والنشر، والمطبوعة بالأُوفسيت علىٰ نسخة الكتاب الصادرة عن المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف عام ١٣٦٨ هـ.

٢ ـ نسخة أُخرىٰ مطبوعة سنة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، دون ذِكر مكان الطبع.

كما اعتمدت في تحقيق ملحقات الرسالة علىٰ الطبعة الثانية من كتاب «جنّة المأوىٰ»، الصادرة في عام ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، عن دار الأضواء ـ بيروت.

منهجيّـة التحقيـق :

آقتصرتُ في عملي هذا علىٰ الخطوات التاليـة :

١ ـ ضبط النصّ ، من حيث التقطيع والتوزيع والتصحيح .

٢ ـ تصحيح الأخطاء المطبعيّة والإملائية الواضحة من دون الإشـارة إليها .

٣ ـ اسـتخراج الآيات القرآنية .

٤ ـ اسـتخراج النصوص والأقوال الأُخرىٰ الواردة فـي الرسـالة مـن المصادر المنقولة عنها مباشرة أو بالواسطة ، وقد آقتصرت فيها علىٰ ذِكـرِ بعضِ أهمَ المصـادر المخـرِّجـة لها ؛ إذ لو أردنـا التوسّـع في ذِكر المصـادر لخرج بنا المقام عن هدف الرسالة المؤلّفة لأجله ، والتـفصيل مـوكول إلىٰ مظانّـه ممّـا أُلّـفَ فـي خصـوص منهـج وسياسـة سـيد الشـهداء الإمـام أبي عبـد الله الحسـين عليه السلام .

٥ ـ اسـتخراج الأبيات الشعرية التي وردت في الرسالة ، مع ترجمة مختصرة لقائلها .

٦ ـ التعريف ببعض الأعلام والوقائع المذكورة في الرسـالة .

٧ ـ توضيح المطالب المهمّـة ، بشـرحها والتعليق عليها ، أو إحـالتها علىٰ مصادرها الأصلية .

٨ ـ شرح معاني الكلمات الغامضة والغريبة .

٩ ـ أبقيتُ علىٰ الهوامش التي أدرجها الشيخ كاشف الغطاء والقاضي

الطباطبائي[1]، وألحقت بالأُولىٰ جملة «منه تَيُّئُ»، وأضفت إليها التخريجات الجديدة وفق المصادر التي اعتمدتها في التحقيق، وجعلتها بين العضادتين [ ].

١٠ ـ أدرجتُ عدّة عناوين لتوضيح رؤوس المطالب ووضعتها بين العضادتين [ ].

١١ ـ وتيسيراً للقرّاء والباحثين في الوصول إلىٰ مبتغاهم، وضعتُ للكتاب عدّة فهارس فنّيّة لِما جاء في مقدّمته ومتنه وهامشه.

---

(١) هو: السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي التبريزي، وُلد في تبريز سنة ١٣٣١ هـ، عالم فاضل، درس المقدّمات في تبريز عند والده السيّد محمّد القاضي وعمّه السيّد أسد الله القاضي وغيرهما من أساتذة الحوزة العلمية هناك.

ثمّ سافر إلىٰ مدينة قمّ المقدّسة سنة ١٣٥٧ هـ، فأخذ عن علمائها حتّىٰ مرحلة البحث الخارج.

وفي سنة ١٣٦٩ هـ وبعد أن أكمل مرحلة السطوح شدّ الرحال إلىٰ مدينة جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلىٰ حيث القبّة التي يرقد تحتها باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، إلىٰ النجف الأشرف، للاغتراف من نمير علمائها، والارتشاف من مناهل فطاحلها.

ثمّ عاد إلىٰ مدينته تبريز سنة ١٣٧٢ هـ بعد أن حاز علىٰ درجة الاجتهاد، واتّجه نحو التأليف والتحقيق وإقامة صلاة الجماعة مع أداء واجباته الدينية الأُخرىٰ.

له مؤلّفات عديدة، منها: كتاب في علم الكلام، أجوبة الشبهات الواهية، رسالة في إثبات وجود الإمام عليه السلام في كلّ زمان، عائلة عبد الوهّاب، حديقة الصالحين.

ومن أعماله: جمع وترتيب كتاب «جنّة المأوىٰ» لأُستاذه الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، مع إضافة بعض البحوث العلميّة والتاريخية والتعليقات النافعة إليه، وسعىٰ في طبعه ونشره لأوّل مرّة في تبريز.

استُشهد تَيُّئُ في تبريز في ١١ ذي الحجّة ١٣٩٩ هـ.

وفي الختـام :

أُسدي جزيل شكري إلىٰ كلّ من أسهم في إبراز هذا العمل إلىٰ الملأ العلمي ، وأخصّ بالذِكر :

الأخ الشيخ علاء السعيدي ، الذي لفت نظري إلىٰ هذه الرسالة القـيّمة وضرورة تحقيقها ونشرها . .

وسماحة العلّامة المحقّق السـيّد عليّ الخراساني الكـاظمي ، لِما أتحفني به من ملحوظاتٍ نافعـة .

والأخوين المحقّقين : السيّد محمّد علي الحكيم وجواد حسين محمّـد الورد ، اللذين أعاناني في إبراز الرسالة بما يليق بهـا . .

داعياً المولىٰ العليّ القدير أن يوفّقنا جميعاً لِما فيه خدمة المذهب الحقّ مذهب أهل البيت عليهم‌السلام وبثّ علومهم ونشرها ، إنّـه نِعم المولىٰ والمجيـب ؛ وآخـر دعوانا أنِ . .

« اللّهمّ كن لوليّك الحجّة بن الحسن ، صلواتك عليه وعلىٰ آبائه ، في هذه الساعة ، وفي كلّ ساعة ، وليّـاً وحـافظاً ، وقـائداً ونـاصراً ، ودليلاً وعيناً ، حتّىٰ تسكنه أرضك طوعاً ، وتمتّعه فيها طويـلاً » .

والحمـد لله أوّلاً وآخـراً ،

وصلّىٰ الله علىٰ سـيّدنا محمّـد وآله

الطـيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين ،

وسلّم تسليماً كثيراً .

دمشـق ـ ١٤٢٧/٣/١٧ *علي جلال باقر الداقوقي*

[كتاب الشيخ عبد المهدي مطر[1]]

بسم الله الرحمن الرحيم

دفع إليّ[2] حضرة الإمام الحجّة ـ والدي ـ دامت بركاته كتاباً كان قد ورد إليه، هذا نصّه:

من الناصرية، ٢٠ شوّال سنة ١٣٤٨ هـ.

سيّدي حجّة الإسلام، ومرجع الأنام، آية الله الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء مُدّ ظلّه.

إنّ بعض المواضيع التي ليست بذات أهمّية ربّما تعرض عليها عوارض التشكيك وطوارئ النقد فتكون أهمّ نقطة يوجه إليها السؤال، فالعفو إن كان السؤال هذا شيء من الركّة في البصيرة، أو الضعف في العارضة، إذا كانت الظروف قد طوّرته إلىٰ هذا الحدّ.

---

(١) هو الشيخ عبد المهدي بن عبد الحسين مطر، وُلد سنة ١٣١٨ هـ، شيخ من شيوخ الأدب والشعر، وعالم حاز المرتبة العليا في الفقه، له مصنّفات كثيرة، منها: تقريب الوصول، ذكرىٰ عَلمين من آل مطر ـ وفيه نسبه الكامل ـ، تقريرات المرجع الأكبر السيّد أبو القاسم الخوئي، دراسات في قواعد اللغة العربية، وله كتاب في الدراية والكلام، وله ديوان مخطوط ومرتّب علىٰ حروف الهجاء نشرت الصحف أكثره.

أقام فترة من الزمن في النجف الأشرف وكان من خيرة أساتذة كلّية الفقه، توفّي سنة ١٩٧٥ م.

أنظر: أدب الطفّ ١٠ / ٢٩٢.

(٢) المتحدّث هو: الشيخ عبد الحليم ابن الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.

مولاي ! يسأل المشكّك أو الناقد عمّا إذا كان الحسين عليه السلام عالماً بقتله في خروجه إلىٰ (كربلاء) وسبي عياله ، فقد عرَّضَ بعِرْضِهِ إلىٰ الهتك ، وليس في تعريضه هذا شيء من الحسن العقلي المعنوي يوازي قبح الهتك ، وكُنْتُ قد أجبتُ : أنّ الهتك فيه مزيد شناعة لأعمال الأُمويّين لم تكن تحصل بقتل الحسين عليه السلام فحسب ، وكانت الغاية للحسين عليه السلام في خروجه إطفاء نائرة الأُمويّين ، والبروز في المظلومين بكلّ مظاهرها ، من قتل ، وحرق ، وسبي .

غير إنّ المشكّك لم يقنع أن تكون وسائل الإطفاء قد قلّت علىٰ الحسين عليه السلام وهو بذلك المظهر الديني ، حتّىٰ احتاج إلىٰ عرض عائلته علىٰ الهتك .

فالأمل أن تفيضوا علينا من فيوضات أنواركم وجليّ بيانكم ؛ ليقف المشكّك والناقد علىٰ صراط الاعتقاد .

خادمكم

عبد المهدي

[جواب الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء]

وعلمت أنّ هذا الكتاب من الفاضل الأديب الشيخ عبد المهدي مطر دام فضله، وبعد أن استوفيته بالنظر أمرني الوالد أن أكتب في هذا الموضوع جواباً على ذلك السؤال وأن أعتمد على نفسي بدون الاستعانة بكاتب أو كتاب إلّا ما يقضي به التاريخ، فكتبت ما يلي:

الشكّ علّة البدع، ومنشأ الفساد، واختلاف العقائد، ما من أمر إلّا معرض له، كثيراً ما يطرأ على فكر المرء فيغيّر مجراه ويفسد عليه معتقده، حتّى من البعيد أن يخلو منه امرؤٌ في هذه الحياة الدنيا، لذلك من الصالح للمرء إزالته بأن ينظر فيه من هو أحصف عقلاً، وأثبت رأياً، وأسمى فكراً.

ومن تلك التي تلاعبت دول الشكّ في أسبابها، وكثر اللغط بها: هي الواقعة الشهيرة، وحقّاً أنّها الواقعة جلّت وعظمت[1]، وبالحريّ أن تداولتها الشكوك، وتلاعبت بها الأفكار، وشخصت إليها الأنظار.

والآن فلنداول فكرنا فيها إجابة للطلب، وإن كنّا لسنا من أصحاب الأفكار السامية والآراء الثاقبة، لكنّ الفكر يظهر من الردّ والبدل على نتيجة ناجعة.

فنقول: إنّا إذا نظرنا إلى تاريخ الحروب والوقائع نرى:

منها ما ظهر باسم الحقّ والواجب الديني، وهي التي تقع بين

(١) أي واقعة الطفّ الأليمة في كربلاء، في عاشوراء سنة ٦١ هـ.

متحلي الأديان والفرق وأصحاب الحقوق والسيادة، وهي محلّ البحث ومجال النظر.

ومنها ما ظهر بمظهر حربي سياسي صرف، وهي الحروب السياسية التي تقع بين الأُمم.

وبما أنّ واقعة الطفّ واقعة مذهبية داخلية ظهرت باسم الحقّ والواجب الديني، لا يمكن الغور في البحث عنها إلّا بعد أن نبيّن ذاتية الحسين عليه السلام من الجهة الدينية عندنا، ونجعلها مقياس البحث.

فالمعتقد فيها أنّها ذاتٌ مقدّسةٌ لا يعتبر بها الخطأ والزلل، تَعْلَمُ بالمغيّبات قبل وقوعها بإذن الله، وهذا الاعتقاد هو داعي البحث ومجلس الشك.

فالحسين عليه السلام كما كان عالماً بقتله في خروجه، كذلك كان عالماً بقتله في بقائه؛ إذ من المعلوم ما للأُمويّين من الضغائن والأحقاد القديمة علىٰ بني هاشم، فهم يتطلّبون أدنىٰ حجّة وفرصة للفتك بهم.

فيزيد[1] الجائر لمّا رأىٰ ما للعلويّين من التعصّب والتصلّب عليه،

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وُلد سنة ٢٢ وقيل سنة ٢٧ هجرية، ثاني ملوك الدولة الأموية، ترعرع في تدمر فنشأ نشأة بدوية، وكان دائم الشغل بالصيد والعبث واللهو والشراب، يدخل المغنّين إلىٰ قصر معاوية «الخضراء» في جوف الليل مع علم معاوية.

أمّه: ميسون بنت بحدل بن حنيف الكلبية، و«كلب» قبيلة كانت نصرانية، أسلمت بعد الفتح الإسلامي للشام.

كان يزيد أوّل من سنّ الملاهي في الإسلام، وآوىٰ المغنّين، وأظهر الفسق وشرب الخمر. وكان ينادم عليها جون ـ مولاه ـ والأخطل الشاعر، وظهر الغناء

←

تأهّب للانتقام، فأوصىٰ جميع ولاته وعمّاله بالحسين عليه السلام شرّاً حتّىٰ ولو وجد [متعلّقاً] في أستار الكعبة، لكنّ لين العمّال وتردّدهم في اقتحام مهلكة جهنّمية كهذه ممّا أمهل الحسين عليه السلام أن يصل كربلاء، ولذلك ترىٰ يزيداً أكْثَرَ من عزل الولاة والعمّال أيّام الحسين عليه السلام، وأنّ الحسين خاطر الموت قبل أن يصل كربلاء مرّتين ولكنّ قضاء الله حال دون ذلك:

أوّلاً: في المدينة، وذلك أنّ خالد بن الحكم أو الوليد ابن عتبة[1]

بمكّة والمدينة في أيّامه، وأظهر الناس شرب الشراب، وكان يفعل فعل المجوس من نكح الأمهات والمحارم، ويتّخذ الغلمان والقيان.

ذكر المؤرّخون أنّه أمر مسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثة أيّام في وقعة الحرّة، وقتل أهلها الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ وحتّىٰ بقيّة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمر أيضاً الحصين بن نمير بإحراق الكعبة بالمنجنيق ورميها بالنار والحجارة حتّىٰ هدّمت وأُحرقت البنية.

إضافة إلىٰ كلّ هذه الأفعال الشنيعة، فإنّه ارتكب جريمة يندىٰ لها جبين البشرية ووجه التاريخ إلىٰ يوم القيامة، ألا وهي جريمة قتل سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأخذ عياله ونسائه سبايا، فهذه الجريمة النكراء هي وحدها كافية بأن تخرج يزيد اللعين من الدين والملّة.

أنظر: الطبقات الكبرىٰ ـ لابن سعد ـ ٤/٢١٢، أنساب الأشراف ٥/٢٩٩ ـ ٣٧٦، الإمامة والسياسة ١/٢٣٤ ـ ٢٣٩ و ج ٢/٥ ـ ١٧، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٤ ـ ١٦٨، تاريخ الطبري ٥/٦٢٣، الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٣/١٨٠ ـ ١٨٨، البدء والتاريخ ٢/٢٤١ ـ ٢٤٤، العقد الفريد ٣/٣٦٢، مروج الذهب ٣/٦٧ ـ ٧٢، الأغاني ٨/٣٣٦، البداية والنهاية ٨/١٨١ ـ ١٨٩.

وللمزيد من التفصيل راجع كتاب «يزيد في محكمة التاريخ» لجواد القزويني.

(١) الصحيح هو: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولاّه معاوية علىٰ المدينة سنة ٥٨ بعد أن عزل عنها مروان.

بعث له يزيد بن معاوية رسالة يطلب فيها منه أن يأخذ البيعة له من الإمام أبي

والي المدينة أرسل إلىٰ الحسين وآبن الزبير رسولاً فذهبا معاً إليه وكان عنده مروان بن الحكم، فقالا للحسين عليه السلام: «بايع!

فقال: لا خير في بيعة سرّاً... إلىٰ آخره.

فقال مروان: أُشدد يدك يا رجل فلا يخرج حتّىٰ يبايعك، فإن أبىٰ فاضرب عنقه.

وقال الزبير: قد علمت أنّا كنّا قد أبينا البيعة إذ دعانا إليها معاوية وفي نفسه علينا ما لا نجهله، ومتىٰ ما نبايعك ليلاً علىٰ هذه الحالة ترىٰ أنّك قد أغضبتنا علىٰ أنفسنا، دعنا حتّىٰ نصبح وتدعو الناس إلىٰ البيعة فنأتيك ونبايعك بيعة سليمة، ولم يزالا به حتّىٰ خلّىٰ عنهما وخرجا.

فقال مروان: تركتهما؟! والله لن تظفر بمثلها منهما أبداً!

فقال: ويحك! أتشير عليَّ أن أقتل الحسين؟! فوالله ما يسرّني أنّ لي الدنيا وما فيها، وما أحسب أنّ قاتله يلقىٰ الله بدمه إلّا خفيف الميزان يوم القيامة.

فقال مروان مستهزئاً: إن كنت إنّما تركت ذلك لذلك فقد أصبت»[1].

↩ عبد الله الحسين عليه السلام بعد هلاك أبيه.

أنظر: تاريخ الطبري ٣/٢٥٢، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٤، الكامل في التاريخ ٣/٣٧٧.

(١) أنظر: تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٧٧، أنساب الأشراف ٥/٣١٣ ـ ٣١٧، تاريخ الطبري ٣/٢٦٩ ـ ٢٧٠، مقتل الحسين ـ لابن أعثم الكوفي ـ: ١٥ ـ ٢٠، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١/٢٦٨، البداية والنهاية ٨/١١٨، تاريخ ابن خلدون ٣/٢٤، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ٩٦ ـ ٩٨.

وعلىٰ أثر ذلك عزل خالد ، أو الوليد[١] .

ثانياً : لمّا صادف عليه السلام الحرّ الرياحي وعارضه ، وقال له الحسين عليه السلام : «ثكلتك أمّك . . .» إلىٰ آخره[٢] .

وما ذكرنا ذلك إلّا ليطّلع الناقد علىٰ تشدّد يزيد في طلب الحسين عليه السلام ، وأن لا بدّ من قتله ما دام ممتنعاً !

وبما أنّ القتل كان عند العرب أمراً هيّناً لا أثر له في نفوسهم ، آثر الحسين عليه السلام القتل في خروجه مع الهتك ، لِما له من التأثير العظيم علىٰ نفوس العرب ، ومن العاقبة الوخيمة علىٰ بني أُميّة ، حذراً من أن يقتل في حرم جدّه ، ويذهب دمه هدراً بلا تأثير عظيم علىٰ العالم الإسلامي ، ولا الحصول علىٰ شرف خالد يستحقّ تمام الإعظام للعلويّين ، أو الحصول به علىٰ أتباع يتظلّمون لهم ويتطلّبون بحقوقهم[٣] .

---

(١) الصحيح هو : الوليد ، كما سبق أن أشرنا ، وقد عزله يزيد عن مكّة وولّىٰ بدلاً عنه عمرو بن سعيد الأشدق .

أنظر : تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٤ حوادث سنة ٦٠ هـ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٨٠ حوادث سنة ٦٠ هـ ، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٥ حوادث سنة ٦٠ هـ .

(٢) أنظر تفصيل الحوار الذي دار بين الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وبين الحرّ بن يزيد الرياحي في :

تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦ حوادث سنة ٦١ هـ ، مقتل الحسين ـ لابن أعثم ـ : ٨٩ ـ ٩٦ ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٢٩ ـ ٣٣٣ .

(٣) لقد أورد ابن عساكر حديثاً أحببت أن أذكره هنا لمناسبته للمقام ، قال :

وأنا موسىٰ بن إسماعيل ، نا جعفر بن سليمان ، عن يزيد الرشك ، قال : حدّثني من شافه الحسين ، قال : رأيت أبنية مضروبة بفلاة من الأرض ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه لحسين ؛ قال : فأتيته فإذا شيخ يقرأ القرآن ؛ قال : والدموع تسيل علىٰ

⇐

وأمّا ما قلت من أنّه ليس هناك حسن معنوي يوازي قبح الهتك . .

فهل هناك حسن معنوي أكبر من تلك المحاسن التي تقدّمت ، من شرف خالد ، وإظهار مظلوميّته ، والحصول علىٰ أتباع ، إلىٰ غير ذلك ؟ ! والهتك ـ وإن كان قبيحاً في حدّ ذاته ـ لم يظهر هنا للعالم بمظهر القبح ، بل ظهر بمظهر المظلومية .

وأمّا ما قلت : إنّ وسائل الإطفاء لم تك قد قلّت علىٰ الحسين عليه السلام . .

فذلك صحيح ، لم تك قد قلّت عليه ، لكنّ تلك الوسائل لا تلبث أن تتلاشىٰ أثرها بزوال الحسين كأن لم تك شيئاً ؛ فإنّا إذا نظرنا إلىٰ الوسائل التي يتّخذها الثائر بحدّها تنحصر :

أوّلاً : بوسيلة سياسية ؛ دعايةٌ تكون في بادئ أمرها سلمية تجعل الأُمّة تستفزّ من تلك الدولة حتّىٰ تثور عليها ، وذلك بأن تنشر بينها مثالب تاريخ تلك الدولة وفظائع أعمالها ، وهذه لا تكون إلّا بعد مضيّ مدّة من الزمن علىٰ الدولة ، حتّىٰ تتراكم عليها مثالب التاريخ ، وأنّه يحتاج في

خدّيه ولحيته ، قال : قلت : بأبي وأُمّي يا بن رسول الله ! ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟ !

فقال : هذه كتب أهل الكوفة إليّ ، ولا أراهم إلّا قاتلي ، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلّا انتهكوها ، فيسلّط الله عليهم من يذلّهم ، حتّىٰ يكونوا أذلّ من فرم الأمَة ؛ يعني منفعتها .

أنظر : تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٦ ترجمة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام .

أقول : فوالله ما الذلّ الذي يعيشه العرب من بعد ذاك اليوم إلىٰ يومنا هذا ، وإلىٰ يوم الوقت المعلوم ، إلّا نتيجة لتلك الجريمة الشنعاء التي ارتكبها يزيد وأعوانه بحقّ ابن بنت رسول الله وسيّد شباب أهل الجنّة .

نشرها وتشكيل جمعيّتها إلىٰ زمن غير قصير، وأنّها تحتاج إلىٰ سياسة ودهاء وكذب، وهذه لا يمكن أن يقوم بها رجل كالحسين عليه السلام ظاهر في أوائل الدولة، مُعَرَّضٌ ـ بامتناعه عن البيعة ـ للقتل، غير لائق به الكذب.

ثانياً: بوسيلة حربية؛ وهي تقوم بإشهار السيف، وهي التي لا مَفَرَّ للحسين منها، وهو أن يشهر السيف في مكّة والمدينة، فيذهب مع أصحابه الثائرين من أهل المدينة ليس له أثر في التأريخ عظيم، فإنّه لا يلاقي من تلك الفجائع التي تأخذ بالقسط الأوفر من التأثير علىٰ النفوس، فيذهب الحسين في المدينة كما ذهب أصحابه، من عبد الله بن الزبير وغيره من أهل المدينة، لا أثر لهم في صفحات المجد والتأريخ، فقط أنّه يمتاز عليهم بما له من الحسب الشريف، وهذا لا يزيد كفّة الميزان شيئاً يذكر ما لم يباشره شيء آخر.

فيتّضح من ذلك للناقد أن لا سبيل له في الانتقاد علىٰ الحسين عليه السلام في خروجه، وهو يرىٰ أنّ الوسائل التي بيد الحسين عليه السلام لا تضع أثراً خالداً، ويرىٰ أن لا بُدّ له من القتل، وإذا قتل بصورة بسيطة غير مفجعة لم تؤثّر علىٰ النفوس أثراً كبيراً، فنقول: قُتل كأصحابه، وأكثر العرب يموت قتلاً.

وهذا آخر ما تفضّل به عَلَيَّ الفكر؛ والسلام.

* * *

[عرض الجواب علىٰ الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء]

ثمّ إنّي رفعت هذا البيان وعرضته علىٰ مطالع والدي، الحجّة السامية، وبعد أن استوفاه بالنظر، قال: إنّه وإن كان علىٰ مقربة من الصواب، ولكن لا أحسب أنّ الخصم أو المشكّك يقنع به، ولا تزاح عنه به العلّة، ولا تنقطع به الخصومة، والمسألة تحتاج إلىٰ تشريح من البيان أوسع من هذا.

ثمّ أوعز بالحضور لديه في أوقات فراغه، والجلسات التي ينتهزها من متراكم أشغاله، بالبحث والمطالعة والتدريس وفصل الخصومات، فأملىٰ عليَّ في عدّة مجالس عدّة وجوه حاسمة للشبهة، وقاطعة للحجاج، فجاءت رسالة من أبدع ما يكون في بابها، بل هي باكورة الإبداع في موضوعها.

* * *

[جواب الشيخ كاشف الغطاء]

قال دامت بركاته وآمتدّت فيوضاته :

كَتَبْتَ إليَّ أيّها الفاضل ـ مدّك الله منه بالعون والعناية ـ، تذكر سؤال الناقد المشكّك عن الحسين عليه‌السلام إذا كان عالماً بقتله في خروجه إلىٰ كربلاء وسبي عياله ، فقد عَرَّضَ بِعِرْضِهِ إلىٰ الهتك .

وأنّك أجبت : بـ « أنّ الهتك فيه مزيد شناعة لأعمال الأُمويّين لم تكن تحصل بقتله فحسب » ، وذكرت أنّ المشكّك لم يقنع بهذا الجواب ، وطلبت منّا جليّ البيان ليقف المشكّك علىٰ صراط الاعتقاد .

فنقول والله المستعان :

أوّلاً : إنّ هذا السؤال وأمثاله من البحث والنظر الذي يتمخّض عن الاعتراض والتحدّي لأعمال الأئمّة ، بل ولأعمال رسول الله وخلفائه المعصومين سلام الله عليهم ، لا موقع له علىٰ أُصول مذهبنا معشر الإمامية ، الّذين قادنا الدليل والبرهان إلىٰ القول بعصمة أُولئك النفر المخصوص [1] .

فليس عندنا في مناهجهم الخاصّة ، وأعمالهم التي تصدر عنهم طول حياتهم بين البشر ، إلّا كمثل رَجُلٍ عَرَفَ مِنْهُ المَلِكُ تمام الكَفاءَةِ ، وأحْرَزَ مِنْهُ صِدْقَ الطاعةِ ، فأرسلَه سفيراً إلىٰ قومٍ ، يَبُثُّ بينهم الدعاية ، ويقوم فيهم بالإرشاد والهداية ، وزوّده بمناهج مخصوصة ، وألزمه أن لا ينحرف

(١) راجع مباحث الإمامة في : دلائل الصدق ٤ / ٢٠٥ وما بعدها .

عنه قيد شعرة.

ولكلّ واحد من الأنبياء والأئمّة سجلٌّ خاصٌّ به، من بدء قيامه بالسفارة والدعوة إلىٰ منتهىٰ أجله، حسب المصالح ومناسبات الظروف الخاصّة، والحِكَمِ التي اقتضت لذلك المَلِك الحَكيم أن يسجّلها علىٰ ذلك التفسير، مِن قتل، أو سمّ، أو أسر، أو غير ذلك من قضايا التضحية والمفاداة.

وعبء السؤال وعبء البحث عن تلك الحِكَم والأسرار مطروحٌ علىٰ الرعية، وهو تكلّفٌ زائد، بل ربّما يكون نفس السفير غير واقف عليها تماماً، إنّما يجد في سجلّ أحواله: عليك أن تبذل نفسك للقتل في الوقت الفلاني؛ فيقول: سمعاً وطاعة؛ وليس له حقّ السؤال والمراجعة عن الحكمة أو المصلحة بعد أن كان من اليقين علىٰ مثل ضوء الشمس أن قضايا ذلك الحَكَم[1] وعزائِمَهُ كُلُّها مُنبَعِثَةٌ عن أقصىٰ ما يمكن من الصلاح ومعالي الحكمة، ليس في الإمكان أبدع ممّا كان.

وكلّ هذه النظريات سلسلة عقائد يبتني بعضها علىٰ بعض، وكلّها مدعومة بالحجّة والبرهان ممّا تمخّضت عن عقول الفلاسفة وآراء الحكماء من معاهد العلم والتأريخ، وكلّها فروع أصل واحد، ينتهي إليه البحث والجدل، وتنقطع عن الخصومة.

وما هو إلّا إثبات العناية الأزلية والقوّة القاهرة الشاعرة، وأنّها هي المدبّرة لهذه العوامل، لا الطبيعة العمياء والمادّة الصمّاء الفاقدة للحسّ

(١) كذا في الأصل، والظاهر أنّه تصحيف «الحكيم»، بقرينة «الملِك الحكيم» الذي جاءت قبل عدّة أسطر.

والشعور[١]، وبعد إثبات تلك العناية ورسوخ الاعتقاد بها يهون ويسهل إثبات ما يتفرّع عليها من تلك النظريات.

وأنّ مِنْ لازم تلك العناية، بعث الهُداة والمُرشدين البالغين أقصىٰ مراتب الكمال البشري؛ لتكميل الناقصين من بني جنسهم، ولا يتسنّىٰ التكميل والاهتداء إلّا بالتسليم والانقياد لهم، واليقين بعصمتهم عن الخطأ والخطيئة، وأنّهم مؤيدون بتلك العناية.

وبعد الإلزام بكلّ هاتيك المبادئ عن براهينها، لا يبقىٰ مجال للشكّ والارتياب، والنقد والاعتراض في شيء من أعمالها مهما كانت في الفظاعة والاستنكار في مطارح العقول المحدودة والأفكار المحجوبة.

﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتّىٰ يحكّموكَ فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً ﴾[٢].

ولعلّ إلىٰ ذلك أشاروا سلام الله عليهم بقولهم ـ إن صحّ الحديث ـ: «نحن أسرار الله المودعة في هياكل البشرية؛ يا سلمان! أنزلونا عن الربوبية ثمّ قولوا فينا ما استطعتم، فإنّ البحر لا ينزف، وسرّ الغيب لا يعرف، وكلمة الله لا توصف، ومن قال هناك: لِم؟ وممَّ؟ وبمَ؟ فقد كفر»[٣].

ولعلّ المراد بالكفر معناه الأوّل، وهو الظلام ـ إن صحّ أنّ الليل

---

(١) إشارة إلىٰ المادّيّين الّذين يسلّمون بوجود المادّة وحدها، وبها يفسّرون الكون والمعرفة والسلوك، ويقولون بأنّ الطبيعة هي المدبّرة لعوامل الكون.

(٢) سورة النساء ٤ : ٦٥.

(٣) اللمعة البيضاء ـ للتبريزي ـ: ٦٤ ـ ٦٥ عن معاني الأخبار، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة ـ للسيّد عبد الله شبر ـ: ٢٠١.

كافر[١] ـ، يعني: إنْ تعرّض لتلك الاعتراضات فقد ظلم وأظلم كمن خاض في لجٍّ من الظلمات.

وما ذكرتُ هذ النبذة إلّا للإشارة إلىٰ جواب ذلك السؤال من الوجهة الدينية محضاً، وإن كنتُ أعلم أنّ ذلك ممّا لا يُعَوِّلُ عليه المشكّكُ الناقدُ، ولا يعتدّ به المُعْتَرِضُ المُتَحَيِّرُ، سيّما لو كان ممّن لا يعرف الحسين عليه‌السلام كما تعرفه علماء الشيعة وخواصّها، إماماً معصوماً لا يتطرّق إليه العبث والعيث[٢]، فضلاً عن الغلط والاشتباه، بل غاية ما يقول فيه: إنّه مِن عَلِيّةِ الرجال وأفاضلهم، نسباً ونفساً وشجاعة وبراعة، لكن لا يمنع كُلُّ ذلك مِنْ أنْ يجري عليه ما يجري علىٰ غيره مِن نوابغ الدهر وأفذاذ البشر، من الصواب تارة، والخطأ أُخرىٰ، والاستقامة أحياناً، والالتواء حيناً؛ وكرمُ سجاياه وعِظَمُ مزاياه لا يقع سدّاً بين العقول وبين النقد عليه في بعض سيرته وسياسته، إن لم يكن في كلّها؛ والكمال لله.

---

(١) عجز بيت من قصيدة للشاعر بهاء الدين زهير، المتوفّىٰ سنة ٦٥٦ هـ، وتمامه في الديوان، ص ١٥٦:

لي فيك أجرُ مجاهدٍ إنْ صحَّ أنّ الليلَ كافِرْ

والكَفْر ـ لغةً ـ: ستر النعمة، وأصله الكَفْر ـ بالفتح ـ؛ أي: الستر، ومنه سُمّيَ المزارع كافراً لستره البذر، وقيل: الليل كافر؛ لأنّه يستر بظلمته كلّ شيء، وكَفَرَ الليلُ الشيءَ، وكَفَرَ عليه؛ بمعنىٰ غطّاه.

أنظر: تفسير الطبري ١/١٤٣، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١/٢٢، لسان العرب ١٢/١٢٠ مادّة «كفر»، تاج العروس ٧/٤٥٢ مادّة «كفر».

(٢) العَيْثُ: مصدر عاثَ يعيثُ عَيثاً وعُيوثاً وعَيَثاناً: أفسد وأخذ بغير رفق، وقيل: هو الإسراع في الفساد.

أنظر: لسان العرب ٩/٤٩١ مادّة «عيث».

وحينئذ فلنفرض الحسين عليه السلام ـ كما يفترضه السائل ـ زعيماً من الزعماء يرىٰ نفسه بما أُوتي من شرف الحسب والنسب أَوْلىٰ بالخلافة من يزيد ، وأحقّ بالمُلكِ منه ، ولا جرم أنّه يبذل كلّ ما في وسعه لاستعادة ذلك الحقّ المغصوب منه ومن أبيه .

أوّلاً : فعلىٰ الأقلّ أنّه لا يبايع يزيد ويصير رعية له ، مع ما هو المعلوم من المجاهرةِ بإحياءِ كُلِّ رذيلةٍ ، وإماتةِ كُلِّ فضيلةٍ[1] .

وعليه : فالجواب الذي ذكرته إذا كُسي حلّة أُخرىٰ من البيان لم يكن للخصم لو أنصف أن لا يقتنع به .

وهل من سبيل إلىٰ الكشف عن نفسية يزيد وخسّة طبعه وعدم أهليّته ، من حيث لؤم عنصره ، وخبث سريرته ، وقبح سيرته ـ مع قطع النظر عن الدين والشرع ـ أقرب وأصوب وأعمق أثراً في النفوس عامّة والعرب خاصّة والمسلمين بالأخصّ من هتك حرم النبوّة صلى الله عليه وآله وسلم وودائع الرسالة ، وجلبهم أُسارىٰ من بلد إلىٰ بلد ، ومن قفر إلىٰ قفر ؟ !

وهل أعظم فظاعة وشناعة من التشفّي والانتقام بالنساء والأطفال بعد قتل الرجال ؟ !

وأيُّ ظفرٍ وغلبةٍ علىٰ يزيد أعظم من إشهار هذه الجرائم عنه ؟ !

أمّا القتل ؛ فقد كان عند العرب أهون شيء ، وهو أمر معتاد متعارف لا شيء فيه من الفظاعة والغرابة ، فكان الحسين عليه السلام أعرف أنّ يزيد وابن زياد من خبث الذات وسوء الملَكة مستعدّان لتلك الجرائم ؛ فأراد أن يبرزها منهم إلىٰ الوجود وتكون الناس منهم علىٰ بيّنة محسوسة ،

---

(١) كما مرّ في ترجمته في الصفحة ٢٤ ـ ٢٥ ؛ فراجع !

ثمّ يكون الغالب بعدها هو المغلوب، والقاهر هو المقهور.

نعم، يزيد قتل الحسين عليه السلام وأنصارَه، ولكنّ الحسين قتل يزيد وكلَّ بني أُميّة بأعظم من قتلهم له بألف مرّة؛ قتلهم يزيد يوماً واحداً، وقتلوه وقومه إلىٰ آخر الأبد.

فأيّ الظفرين أعظم؟! وأيّ القتلين أكبر؟!

وهذه الفلسفة قد أدركها حتّىٰ الباحثون من الأجانب عن الإسلام، وقد ألمح إليها المستشرق الألماني (المسيو ماربين)، حيث قال: «لمّا كان الحسين يعلم عداوة بني أُميّة وبني هاشم، ويعرف أنّه بعد قتله يأسِرونَ عياله وأطفاله، وذلك يؤيّد مقصده ويكون له أثر عظيم في قلوب المسلمين، سيّما العرب، كما وقع ذلك، جلبهم معه وجاء بهم من المدينة...

إلىٰ أن قال: ولمّا كانت أنظار المانعين محدودة، وأفكارهم قاصرة، ولا يدركون مقاصد الحسين العالية، وآخر ما أجابهم به: إنّ الله شاء ذلك، وجدّي أمرني به[1]، فقالوا: إن كنت تمضي إلىٰ القتل فما وجه حملك النسوة والأطفال؟

فقال: إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا[2]»[3]؛ انتهىٰ.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٨/ ١٣١.

(٢) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٢٨، بحار الأنوار ٤٤/ ٣٦٤، ينابيع المودّة ٢/ ٦٠.

وانظر: أُسد الغابة ١/ ٤٩٨ رقم ١١٧٣، الطبقات الكبرىٰ ـ لابن سعد ـ: ٥٩ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٩.

(٣) انظر: إقناع اللائم علىٰ إقامة المآتم: ٣٢٩ ـ ٣٣٦.

أقول : وهذا الجواب ليس كما تخيَّلَهُ المستشرق جواباً إقناعياً ، ودفعاً وقتياً ، بل له مقامه الراهن من الحقيقة ، ولعلّ الله سبحانه ، وجدّه ﷺ ، إنّما أمراه بذلك كي يُفتضَح يزيد ويظهر حاله للناس ، نحن لا نقول : إنّ الطريق لهتك يزيد انحصرت بهتك العيال ؛ ولكن نقول : إنّه كان أحد الطرق التي لها التأثير الكبير في المقصود .

والقول : إنّه لا يجوز في الدِّين أن يُعَرِّض نساءه للهتك مهما كان الأمر ؛ فهو منبعث عن البساطة والسذاجة ، فإنّ الذي لا يساعد عليه الدِّين ، بل ولا تسمح به الغيرة ، هو تعريض الإنسان عِرْضَهُ للهتك الموجب لِما يمسّ الشرف ، ويخدش رواق العفّة والصيانة ، وسرادق النجابة والحصانة .

أمّا الهتك الذي تستحكم به عرىٰ القدس والطهارة والعزّة والمنعة ، فذلك ممّا لا يشين ولا يهين ، وتلك الحرائر صلوات الله عليهنّ مهما سَفِرْنَ فَهُنَّ محجّبات ، ومهما تَبَذَّلْنَ فهنّ مَصونات ، وهنّ بحيث النجم من يد المتناول[1] .

يَشُعُّ علىٰ وجهِ البراقِعِ نورُها فيحسب راءٍ أنَّهُنَّ سَوافِرُ[2]

---

(١) المراد أنّ حرائر الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام كالنجم في البعد وعلوّ المرتبة ، وفي منزلة يستحيل معها الوصول إليهن أو مسّهنّ بما يخدش عفّتهنّ ، روحي وأرواح العالمين لهنّ فداء .

(٢) البيت للشاعر جواد بدقت الأسدي ، ضمن قصيدة من ٣٥ بيتاً ، مطلعها :

بواعث أنّي للغرام مؤازرٌ رسوم بأعلىٰ الرقمتين دوائرُ

إلىٰ أن يقول :

يطوف علىٰ وجه البراقع نورها فيحسب راءٍ أنّهنّ سوافرُ

ﻪ

والغرضُ : إنّ هذا الجواب محكم رصين ، وله خطّة من الحقيقة ، وإذا لم يقنع به الناقد والمشكّك فهناك :

وجه ثانٍ وجيه أيضاً ، وهو : إنّ الحسين عليه‌السلام في كلّ أدواره وأطواره ، ومنذ نشأ وشبّ إلىٰ آخر نفَس من حياته كانت شيمته الشمم والشهامة ، وعزّة النفس والإباء والكرامة ، تتجلّىٰ وتشعّ من جميع حركاته وسكناته ، وكلّ أحواله وملَكاته ، ولو ذهبنا إلىٰ سرد الشواهد علىٰ هذا لجاء كتاباً مفرداً ، ومجموعاً وافياً .

ويخطر لي أنّ الحسن عليه‌السلام لمّا صالح معاوية علىٰ الشروط التي لم يفِ بشيء منها ، وكان قد حضر عند معاوية مع خواصّ أصحابه للبيعة ، فبايع الحسن ومن معه ، وطلب معاوية البيعة من الحسين عليه‌السلام ، فقال : دعه ! فإنّه لا يبايع ، ولكن لا يأتيك منه سوء ؛ فقال : حسبنا منه ذلك [1] .

وبعد أن تمّ الأمر لمعاوية كان الحسين عليه‌السلام إذا اجتمع به في حشد من محافل الشام أو الحجاز يناضله ويناظره فيرضخه من القول

↩ ويقول في آخر القصيدة :

فيا ليت صدري دون صدرك موطئٌ ويا ليت خدّي دون خدّك عافرُ

والشاعر هو : جواد بن محمّد حسين الأسدي الحائري ، الشهير بـ (بدقت) أو (بذكت) ، وُلد في كربلاء عام ١٢١٠ هـ ، كان فاضلاً أديباً مشهور المحبّة لأهل البيت عليهم‌السلام ، ساجل العديد من شعراء عصره ، أمثال الشيخ صالح الكوّاز والشيخ اليعقوبي .

نَظمَ في مختلف أبواب الشعر فأجاد وأبدع ، له ملحمة رائعة يمتدح بها أهل البيت عليهم‌السلام ، توفّي سنة ١٢٨١ هـ .

أنظر : أدب الطفّ ٧ / ١٤٤ ـ ١٥١ .

(١) أنظر : مناقب آل أبي طالب ـ لابن شهرآشوب ـ ٤ / ٤٠ .

بالصَّلادِمِ[١]، ويصكّ جبهته بما هو أمضّ من الصَّوارِمِ[٢] ـ ورُبَّ قول أنفذ من صول[٣] ـ، ومعاوية يحتمل كلّ ذلك منه لِما يعلم من عزّة نفسه وشدّة شكيمته.

مرّ علىٰ الحسين عشرون عاماً ـ مدّة خلافة معاوية ـ ما ذاق فيها طعم الخضوع والاستكانة، حتّىٰ إذا هلك معاوية وآمتنع عن البيعة ليزيد، ورأىٰ من السداد الهجرة عن المدينة؛ ليعرف العالم الإسلامي امتناعه عن البيعة، فخرج من المدينة بأهل بيته قاصداً مكّة، ولزم الطريق الأعظم (الدرب السلطاني)، فقيل له: «لو تنكّبت الطريق كما فعل ابن الزبير؟

فقال: لا والله لا أُفارقه أو يقضي الله ما هو قاضٍ»[٤].

فالحسين ـ وعلىٰ ذِكره السلام، هو يحمل بين جنبيه هذه النفس الكبيرة ـ لمّا أراد الخروج من مكّة إلىٰ العراق أبت نفسه الكريمة، وأنفت همّته القعساء[٥] أن يخرج هو وولدانه وغلمانه علىٰ ظهور خيولهم خروج

---

(١) الصَّلْدِمُ والصُّلادِمُ ـ: الشديدُ الحافر، وقيل: الصِّلْدِمُ: القويّ الشديد من الحافر، وجمعه: صَلادِم ـ بالفتح ـ، وفرسٌ صِلْدِمٌ ـ بالكسر ـ: صُلْبٌ شديد، ورأسٌ صِلْدِمٌ وصُلادِمٌ ـ بالضمّ ـ: صُلْب.

وهي هنا كناية عن قوّة حجّة الإمام الحسين عليه السلام وبلاغته.

آنظر: لسان العرب ٧/ ٣٨٧ مادّة «صلدم».

(٢) أي أحدّ من السيوف.

(٣) من حِكَمِ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، آنظر: نهج البلاغة: ٥٤٥ رقم ٣٩٤.

(٤) مقتل الإمام الحسين ـ لابن أعثم الكوفي ـ: ٣٠.

(٥) القَعَس: نقيض الحَدَب، وهو خروج الصدر ودخول الظهر؛ قَعِسَ قَعَساً، فهو أقْعَس ومُتقاعس، والمرأة قعساء، والجمع: قُعْس.

و «همّته القعساء» هنا كناية عن علوّ همّة الإمام الحسين عليه السلام وآرتفاع عزيمته ←

المتشرّد الخائف، والنافر الفزع، ولم يرض لنفسه إلّا أن يظهر بأسمىٰ مظاهر الأُبَّهَةِ والهَيْبَةِ والجَلالِ والحِشْمَةِ في الموكب الملوكي، وفخامة الملك والسلطان.

ومن المعلوم أنّ لحمل الحرم والعائلة من لوازم الفخامة والعظمة، وشوكة المناطق والسرادق، ما لا يحصل بدونها، ولو خرج سلام الله عليه من أوطانه وترك عقائله في عقر دارهم لكان خروجه أشبه ما يكون بصعاليك العرب وأهل الغزو والغارات والمتلصّصين، وحاشا لسيّد أهل الإباء أن يرضىٰ لنفسه بتلك المنزلة والخطّة السافلة، بل سار بأهله وذراريه ليكوٰن علىٰ مهاد الدعة والسكينة والهدوء والطمأنينة، كَسَيْر أكبر ملك من ملوك الدنيا وأوسعهم في القدرة والسلطان.

ولا تخالنّ في كلمتي هذه ضرباً من الخيال، أو شيئاً من المبالغة والغلوّ؛ كلّا، فإنّك لو نظرت إلىٰ بعض الخصوصيات في سيره لوجدت منها أوثق شاهد لك علىٰ ما ادّعيناه.

أنْعِمِ النظر في قصّة الحرّ التي اتّفقت علىٰ نقلها أرباب المقاتل وأُمناء التاريخ والسيَر[1]، حيث التقىٰ بالحسين في قفر من الأرض لا ماء فيه ولا كلاء، وقد أمَضّ به وبأصحابه العطش، وَهُمْ زُهاءَ ألف فارس علىٰ ألف فرس، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: «اسقوا القوم وأوردوهم الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً»، ففعلوا وأقبلوا يملأون

↩ وسموّ شأنه.

اُنظر: لسان العرب ١١/٢٤٣ مادّة «قعس».

(١) تقدّمت الإشارة إلىٰ ذلك في الصفحة ٢٧ هـ ٢؛ فراجع!

القِصاع[1] والطِساس[2] من الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقي آخر حتّىٰ سقوها عن آخرها.

فانظر أوّلاً وآعجب ما شئت بهذا الحنان والرحمة والعطف والإشفاق، فإنّ القوم الّذين سقاهم الحسين عليه السلام كانوا أعداءه، وقد جاءُوا مِنْ قِبَل ابن زياد للقبض علىٰ الحسين عليه السلام، حتّىٰ إنّ عليّ بن طعّان المحاربي ـ وهو عراقي من أصحاب الحرّ ـ لم يعرف كيف يشرب من الراوية[3] وكيف يخنث[4] السقاء كما يفعله الحجازي، فكان يشرب والماء يسيل علىٰ أشداقه وثيابه، فنزل الحسين عليه السلام بنفسه وخنث السقاء حتّىٰ شرب وآرتوىٰ[5].

وآعجب ثانياً لإيثاره بالماء في بادية قحلاء وصحصحان أجرد[6]،

(١) القَصْعَةُ: الصَّحفة أو الضَّخمة منها تشبع العشرة، والجمع: قِصاعٌ وقِصَعٌ وقَصَعات.

أنظر مادّة «قصع» في: لسان العرب ١١/١٩٣، تاج العروس ١١/٣٧٥.

(٢) الطَّسُّ: الطَّسْتُ من آنية الصفر، أُنثىٰ تُذكَّر، وهي فارسية، والجمع: طِساس.

أنظر: تاج العروس ٣/٩٠ مادّة «طست» و ج ٨/٣٤٠ مادّة «طسس».

(٣) الراوية: هو البعير أو البغل أو الحمار يُستقىٰ عليه الماء، والراوية هنا هي المِزادة والوعاء الذي يكون فيه الماء، سمّيت راوية لمكان البعير الذي يحمله.

أنظر: لسان العرب ٥/٣٨٠ مادّة «روي».

(٤) خَنَثَ: ثَنَىٰ وكَسَرَ، خنَثَ فَمَ السِّقاء: ثنىٰ فاهُ وكَسَرَه إلىٰ الخارج، فشرب منه، وإن كَسَرَهُ إلىٰ الداخل فقد قَبَعَهُ.

أنظر: تاج العروس ٣/٢٠٧ مادّة «خنث».

(٥) أنظر: تاريخ الطبري ٣/٣٠٥، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١/٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٦) الصَّحْصَحُ والصَّحصحاحُ والصَّحصحان: كلّه ما استوىٰ من الأرض وجَرَد، ☜

والماء فيه أعزّ من الذهب، وقد لا يجدونه في يومين أو ثلاثة أو أكثر، فأيٌّ سخاء هذا السخاء ؟! وأيُّ نفس تلك النفس ؟!

وأعجب ثالثاً ـ وهو محلّ الغرض ـ كم كانت سعة ذلك الموكب السلطاني وإدارة ذلك الركاب الملوكي ؟!

وكم كان يحمل من الماء ؟! حيث سقىٰ نفسه وأعداءه، سقىٰ ألف فارس وألف فرس، وعلىٰ أقلّ تقدير أنّ النفوس التي كانت مع الحسين عليه السلام، من أولاده وأنصاره وعيالاتهم ألف نفس، وحمولهم[1] (المِكارَهْ) التي تحمل خيامهم وأمتعتهم، وما إليها من قدور وقصاع وطساس، ونحو ألفين من الخيل والبغال غير الإبل، فتكون النفوس المحتاجة إلىٰ الإرواء بالماء في ذلك الموكب ـ علىٰ أقلّ التقادير ـ خمسة آلاف أو أربعة آلاف نسمة، غير الفضلة الاحتياطية التي سقىٰ منها الحرّ وأصحابه وخيولهم.

فالموكب الذي يحمل من الماء ما يروي ستّة آلاف أو سبعة آلاف نسمة، كم ترىٰ يكون ضخامة ملكه وفخامة سلطانه ؟!

وإذا صحّ ما رواه الطريحي في «مجمع البحرين» من أنّ الحسين عليه السلام لمّا نزل كربلاء اشترىٰ أرض نينوىٰ والغاضرية من بني أسد بستّين ألف درهم، واشترط عليهم أن يدلّوا زوّاره علىٰ قبره ويضيّفوهم؛ انتهىٰ

↵ والجمع: الصحاصِحُ؛ والصَّحصحُ: الأرض الجرداء المستوية ذات حصىً صغار، وأرض صحاصحُ وصحصحان: ليس بها شيء ولا شجر ولا قرار للماء.
انظر: لسان العرب ٧ / ٢٨٨ مادّة «صحح».

(١) الحُمُول: الإبل وما عليها من الهوادج والأثقال.
انظر: لسان العرب ٣ / ٣٣٤ مادّة «حمل».

بمعناه[1] ؛ فكم كان معه من الأموال والنقود التي يكون فضلتها ستّون ألفاً ؟!

وأزيدك شاهداً علىٰ ذلك من عظمة الملك والسلطان قضية محمّد بشير الحضرمي[2] ـ الذي رواه السيّد ابن طاووس وغيره حين قيل له ليلة عاشوراء ، ليلة القلق والأرق ، الليلة التي كانت المَنايا فيها علىٰ الحَوايا[3] ، والحِمام يحوم فيها علىٰ الخيام ـ قيل له : «إنّ ابنك أُسر في ثغرَي الريّ ؛ فقال : عند الله أحتسبه ونفسي ، ما أُحبّ أن يؤسر وأنا أبقىٰ بعده .

فسمع الحسين عليه‌السلام قوله ، فقال له : رحمك الله ، أنت في حلٍّ من بيعتي ، فاعمل في فكاك ابنك .

---

(١) أنظر : مجمع البحرين ٥ / ٤٦١ مادّة «كربل» .

(٢) كذا في الأصل ، والظاهر أنّ كلمة «بن» ساقطة ؛ لأنّ بعض المصادر التي نقلت القصّة ذكرت أنّه «محمّد بن بشير الحضرمي» ؛ كما في : ترجمة الإمام حسين ومقتله ـ لابن سعد ـ : ٧١ ، تاريخ دمشق ١٤ / ١٨٢ ، اللهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف : ١٥٣ ، بغية الطلب في تاريخ حلب ٦ / ٢٥٩٢ ، تهذيب الكمال ٤ / ٤٨٣ .

ومصادر أُخرىٰ ذكرت أنّه «بشير بن عمرو الحضرمي» ؛ كما في : تاريخ الطبري ٣ / ٣٣٠ نقلاً عن أبي مخنف .

وترجم له صاحب «تنقيح المقال» قائلاً : «بشر بن عمرو بن الأحدوث الحضرمي الكندي ، كان من حضرموت وعداده في كندة ، وكان تابعيّاً ، وله أولاد معروفون بالمغازي ، وكان ممّن جاء إلىٰ الحسين عليه‌السلام أيّام المهادنة .

أنظر : تنقيح المقال ١ / ١٧٣ رقم ١٣٣١ .

(٣) الحويّة : كساء محشوٌّ حول سنام البعير ، وهي السويّة ، والحويّة لا تكون إلّا للجمال ، والسويّة قد تكون لغيرها ، لذا تقول العرب : المَنايا علىٰ الحَوايا ؛ أي قد تأتي المنيّة للشجاع وهو علىٰ سرجه .

أنظر : لسان العرب ٣ / ٤٠٩ مادّة «حوا» .

فقال : أكلتني السباع حيّاً إن فارقتك .

قال : فاعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه .

فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار»[١] .

وعليه : فيكون قيمة كلّ ثوب مئتي دينار (مئة ليرة ذهب) .

وأنا لا أدري ما كانت تلك الثياب التي قيمة الواحد مئة ليرة ؟! وكم كان معه مثلها ؟! ولماذا يحملها وأمثالها معه في تلك المراحل ؟!

هذه سؤلة لعلّك في غنىً عن الجواب عنها ، ولكن أيّها الناقد المشكّك ! أتحسب أنّ الحسين عليه‌السلام كان صعلوكاً من صعاليك العرب ، ولئيماً من لئامها ، كابن الزبير ، الذي يقول لجنده : «أكلتم تمري وعصيتم أمري»[٢] ؟!

ويقول للوافد عليه ، المستجدي منه ، بعد أن قال له : إنّ ناقتي قد نقبت[٣] .

فقال : ارقعها بهلب[٤] ، وآخصفها بسبت[٥] .

---

(١) أنظر : ترجمة الإمام الحسين ومقتله ـ لابن سعد ـ : ٧١ رقم ٢٩٢ ، تاريخ دمشق ١٤ / ١٨٢ ، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف : ١٥٣ ـ ١٥٤ ، بغية الطلب في تاريخ حلب ٦ / ٢٥٩٢ ، تهذيب الكمال ٤ / ٤٨٣ ، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٩٤ .

(٢) أنظر : شرح نهج البلاغة ٢ / ١٢٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦٦ .

(٣) النَّقِبْ : رقّة الأخفاف ، نَقِبَ البعيرُ ينقبُ فهو نَقِبٌ ، بالكسر إذا رقّت أخفافه .
أنظر : لسان العرب ١٤ / ٢٤٩ مادّة «نقب» .

(٤) الهُلْبُ : الشَّعر كلّه ، وقيل : هو في الذَّنَب وحده ؛ وقيل : هو ما غلظ من الشعر ، والهُلْبةُ شعر الخنزير الذي يخرز به .
أنظر : لسان العرب ١٥ / ١١١ مادّة «هلب» .

(٥) السِّبْتُ ـ بالكسر ـ : جلود البقر المدبوغة بالقَرظ ، تحُذىٰ منه النِّعال السبتية .
أنظر : لسان العرب ٦ / ١٤٠ مادّة «سبت» .

فقال الوافد : لعن الله ناقةً حملتني إليك .

فقال : إنّ وراكبها »[١] .

لا يا هذا ! الحسين أكبر ممّا تظنّ ، الحسين أكبر من أن يتخلّص من طواغيت بني أُميّة الّذين أرادوا سفك دمه في حرم الله فتنتهك به حرمة الحرم كما فعل ابن الزبير وفعلوا به ، هو أكبر من أن يخلص بنفسه ويترك عياله يشرئبّون إليه ويتطلّعون إلىٰ أخباره ويناشدون الركبان عنه .

وأمّا ما تخيَّلْتَهُ من أنّ هتك الحريم لا يقدم الغيور عليه مهما كان الأمر ، فهو وَهمٌ زائف ، وقد عرَّفناك أنّ الهتك المُشين هو الذي يلمس أذيال العفّة ، ويمسّ ذلاذل[٢] الشرف ، لا الذي تستحكم به أسوار الصون وسياج العفاف .

وبعد هذا كلّه ، فهل أقنعك هذا الوجه ، وعرفت كيف كانت منزلة الحسين عليه‌السلام من عظمة الشأن وسموّ السلطان ؟ !

وهناك وجه ثالث لحمل العيال ، وهو : كما كانت العرب عليه من أنّهم إذا أرادوا أن يستميتوا في الحرب ، ويصبروا للطعن والضرب ، جعلوا الحريم خلفهم ، واستقبلوا العدوّ ، فأمّا الحتف أو الفتح ، ويستحيل عندهم النكوص أو الفرار ، وترك الحريم للذلّ والإسار ، ويشهد لهذا عدّة وقائع

(١) أنظر : الأغاني ١ / ١٨ ـ ١٩ ، تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٦١ و ج ٤٨ / ٢٨٥ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٧٨ ، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ١٣٩ .

وذكر القصّة ابن منظور في لسان العرب ١ / ٢٤٤ مادّة «أنن» وقال : «إنّ وراكبها » ؛ يعني : نعم مع راكبها .

(٢) ذلاذل القميص : ما يَلي الأرض من أسافله ، الواحد ذُلْذُلٌ .

أنظر : لسان العرب ٥ / ٥٧ مادّة «ذلل» .

لا تغيب عن الضليع في تاريخ العرب[١]، عليه حَمَلَ العيال كي يستميت أصحابه دونها، وينالوا درجة السعادة بالشهادة كما فعلوا.

وهناك وجه رابع لعلّه أوجه من تلك الوجوه، وأقربها إلىٰ الحقيقة، وإنْ كانت للحسين عليه السلام ملحوظة وراء التعبّد والانقياد والرضا والتسليم للمشيّة القاهرة، وكانت سياسة عن فلسفة نظرية، وتدابير بشرية، فهي هذه الملاحظة التي سوف نبديها ونشير إليها علىٰ الجملة حيث لا سعة للتفصيل.

تقول أيّها الناقد: «إنّ الحسين عليه السلام كان يعلم أنّه يقتل»..

نعم، وأنا أقول كذلك، بل يعلم أنّ جميع مَنْ معه مِن الرجال، بل وكثير من الأطفال يُقتلون حتّىٰ الرضيع[٢]، ولا يفلت إلّا وَلَدهُ زين العابدين من أجل العلّة والمرض.

فلمّا عَلِمَ ذلك كُلّه، وَعَلِمَ أنّ بني أُميّة وأشياعهم سوف يموّهون، بل كانوا قد موّهوا علىٰ المسلمين أنّ الحسين عليه السلام خارج علىٰ إمام زمانه، وهو يزيد المنصوب بالنصّ عليه بالاستخلاف من الخليفة الذي قبله وهو معاوية، فالحسين عليه السلام بخروجه باغٍ، وحكم الباغي القتل ﴿**فقاتلوا التي تبغي حتّىٰ تفيء إلىٰ أمر الله**﴾[٣]، فيكون هذه الفتوىٰ وهذا التمويه أعظم علىٰ الحسين مِن قتله.

---

(١) آنظر: تاريخ الطبري ١/٤٧٦ ـ ٤٨٢ أحداث معركة ذي قار، و ج ٢/١٦٦ أحداث غزوة حنين سنة ٨ هـ.

(٢) آنظر: مقتل الحسين ـ لابن أعثم الكوفي ـ: ١٤٠، تاريخ الطبري ٣/٣٣٢، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣) سورة الحجرات ٤٩: ٩.

وهذا الطلاء المبهرج، وإنْ كان لا يخفىٰ علىٰ العارفين والنياقدة، ولكنّهم بالضرورة خاضعون للسلطة، قد شملتهم الذلّة، وأخلتهم القلّة، وألجمهم الخوف والتقيّة، سيّما بعد الفراغ من أمر الحسين عليه‌السلام، فلا رحمة لأحد بعده ولا حرمة، والناس كما قال هو سلام الله عليه يوم الطفّ، وكما هو حالهم اليوم: «عبيد الدنيا، والدين لعق علىٰ ألسنتهم»[(١)]، فمنِ ذا يقدر أن ينبس[(٢)] بالحقيقة، فضلاً عن الإصحار[(٣)] بها، وسيوف يزيد وابن زياد فوق أرؤسهم، وأموالهم نصب أعينهم؟!

وتعلم كيف يلعب الرجاء والخوف في النفوس، فحينئذ فلا يمرّ حول أو حولان إلّا وقد سجّل التاريخ أنّ الحسين عليه‌السلام ـ وأستغفر الله ـ باغٍ عاتٍ وقد قُتل بحكم شريعة جدّه.

وبَعَدَ الناقدُ فريتَه بقوله: هل بايع كما يبايع أخوه الحسن عليه‌السلام ودفع عن نفسه وأهله القتل؟!

كيف؟! وقد قال بعض النواصب في القرون الوسطىٰ: إنّ الحسين قتل بسيف شريعة جدّه[(٤)].

---

(١) انظر: تحف العقول: ١٧٤، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١ / ٣٣٧، كشف الغمّة ٢ / ٣٢.

(٢) نَبَسَ ينبسُ نبساً: وهو أقلّ الكلام: وما نبس، أي: ما تحرّكت شفتاه بشيء، وما نبس بكلمة؛ أي: ما تكلّم.
انظر: لسان العرب ١٤ / ٢٠ مادّة «نبس».

(٣) الإصحار: المجاهرة بالشيء، وأبرز له ما في نفسه صَحاراً: أي: جاهره به جهاراً.
انظر: لسان العرب ١٧ / ٢٨٩ مادّة «صحر».

(٤) أقول: لقد وصل ببعضهم الكره والبغض ونصب العداوة لأهل البيت عليهم‌السلام إلىٰ

وهذه عند الحسين ـ وهو عَلَمُ الحقّ ، ومنارُ الهُدىٰ ، وجسم روح الغيرة والإباء ـ رزيّة لا رزيّة فوقها ، ومصيبة لا مصيبة أعظم منها .

فعلىٰ من يعتمد الحسين عليه‌السلام في دفع هذه الغائلة[1] ، وتفنيد هذه الضلالة ، وإنقاذ المسلمين من هذه الورطة المهلكة ؟!

أَعَلىٰ رجال وكلّهم سوف يقتلون معه بعلم منه ؟!

أم علىٰ زين العابدين ، وهو أسير مشغول بعلّته ، وقتله أهون عليهم من قتل ذبابة ؟!

فمَن يقوم للحسين بهذه المهمّة بعد قتله ؟!

ومَن ذا يقرع بالحجّة ، ويوضح المحجّة ، ويكشف الحقيقة ، ويتعقّب القضية ، ويخطب في النوادي الحاشدة ، والجوامع الحافلة ، تلك الخطبة البليغة ، والحجج الدامغة ؟!

تصوّر لك العصر مليّاً ، وٱستوسع التأمّل في تلك الأوضاع ، وٱنظر هل كان من الممكن أن يقوم بشيء من ذلك أكبر رجل باسل ؟!

درجة النطق بمثل هذه التفاهات والترّهات ، بل قالوا كلمة الكفر ، ومن أمثال هؤلاء النواصب :

أبو بكر بن العربي محمّد بن عبد الله ، المتوفّىٰ سنة ٥٤٣ هـ ، راجع تفاهاته في كتابه المسمّىٰ «العواصم من القواصم» ص ٢١١ ـ ٢١٦ .

وعبد الرحمٰن بن خلدون ، المتوفّىٰ سنة ٨٠٨ هـ ، راجع مخاريقه في «مقدّمته» ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

وقد تصدّىٰ لإمثال هؤلاء النواصب ، وردّ علىٰ ترّهاتهم وخرافاتهم المحقّقُ الكبير والعلّامة السيّد علي الحسيني الميلاني في «نفحات الأزهار» ٤ / ٢٣٦ ـ ٢٤٢ ، فجزاه الله خير الجزاء .

(١) الغائلة : الحِقد الباطن .

ٱنظر : لسان العرب ١٠ / ١٦١ مادّة «غيل» .

وهب أنّ الممكن أن يفادي رجلٌ بنفسه للحقّ وإبداء الحقيقة، ولكن هل يمهلوه إلىٰ أن يستوفي الغرض ويبلغ الغاية؟!

أوَليس عبدالله بن عفيف الأزدي، ذلك البصير الذي ذهبت عيناه، واحدة يوم الجمل والأُخرىٰ بصفّين؛ نعم، ذهبت عيناه، ولكن فتح الله له في قلبه عشرة عيون، وسقط الجهاد عنه بيده، ولكن جاهد في لسانه بعشرة أسياف إلىٰ أن أحرز الشهادة في هذا السبيل.

فإنّه لمّا سمع خطبة ابن زياد علىٰ منبر الكوفة بعد قتل الحسين عليه السلام وهو يقول: «الحمد لله الذي نصر أمير المؤمنين يزيد وأشياعه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب»، نهضت به الحمية والحماية للحقّ، وفادىٰ بنفسه في ذلك الحشد الرهيب، فقام وقطع عليه خطبته قائلاً له: «إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت ومن استعملك يا عدوّ الله، تقتلون أولاد النبيّين وتتكلّمون بهذا الكلام علىٰ منابر المسلمين.

فغضب ابن زياد وقال: من هذا المتكلّم؟!

فقال: أنا المتكلّم يا عدوّ الله!

أتقتل الذرّيّة الطاهرة الّذين أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنّك علىٰ دين الإسلام؟!

وا غوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين علىٰ لسان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم [1]؟!

---

(١) هنا إشارة إلىٰ تفسير الآية الكريمة: ﴿والشَجَرةَ الملعونة في القُرآن﴾ سورة الإسراء ١٧: ٦٠، التي نزلت في بني أُميّة الّذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وقد نقلت ذلك كتب التفسير والحديث والتاريخ، اُنظر مثلاً:

فازداد غضب ابن زياد حتّىٰ انتفخت أوداجه ، وقال : عَلَيَّ بـه !

فـقام الجـلاوزة فأخـذوه ، وقـامت الأشـراف مـن الأزد عشـيرته فخلّصوه ، وآنطلقوا به إلىٰ منزله» .

ولكن هل خلص ونجا من ذلك الطاغية ؟ ! وهل كان آخر أمره إلّا أن أُحضر بين يديه فضرب عنقه صبراً وصلب جثمانه في السبخة[1] في قصّة طويلة ، وما ظفر ابن زياد به إلّا بعد حرب سجال وتحريشٍ منه خبيثٍ بين اليمانية والمضرية علىٰ قاعدة التفرّق[2] .

نعـم ، ما أنكـر علىٰ ابن زياد إلّا عبـدالله بن عفيف رضوان الله عليه ، وإلّا ذلك الصحابي الضعيف بكلّ مواقع الضعـف ، ألا وهـو زيـد بن أرقم ، فإنّـه حين رأىٰ رأس الحسين عليه السلام بـين يـدَي بـن زيـاد وهـو يـضربـه

↵ تفسير الثعلبي ٦ / ١١١ ، تفسير ابن جزيّ الكلبي ٢ / ١٧٤ ، تفسير القرطبي ١٠ / ١٨٣ ـ ١٨٤ ، تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٢٣٩ ، زاد المسير ٥ / ٤٠ ـ ٤٢ ، البحر المحيط ٦ / ٥٤ ـ ٥٥ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٤٨ ، تفسير البيضاوي ١ / ٥٧٥ ، الكشّاف ٢ / ٤٥٥ ، الدرّ المنثور ٥ / ٣٠٩ ـ ٣١٠ ، تفسير غرائب القرآن ـ للنيسابوري ـ ٤ / ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، فتح القدير ٣ / ٢٣٨ ـ ٢٤٠ ، فتح الباري ٨ / ٥٠٨ ح ٤٧١٦ ، عمدة القاري ١٩ / ٣٠ ، لباب النقول في أسباب النزول ـ بهامش تفسير الجلالين ـ : ٢٣٥ ، مجمع البيان ٦ / ٢٥٠ ، شرح نهج البلاغة ٩ / ٢٢٠ و ج ١٢ / ٨١ ، مسند أحمد ٢ / ٥٢٢ ، مجمع الزوائد ٥ / ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، تاريخ الطبري ٥ / ٦٢١ حوادث سنة ٢٨٤ هـ ، الخلفاء الراشدون ـ للذهبي ـ : ٢٠٩ و ٢١٠ ، البداية والنهاية ٦ / ١٧٦ ـ ١٧٧ و ١٨٢ ، تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ـ : ١٦ .

(١) السبخة : أرضٌ ذات ملح ونَزٍّ ، وجمعها سِباخ .
آنظر : لسان العرب ٦ / ١٤٨ مادّة «سبخ» .

(٢) آنظر : أنساب الأشراف ٣ / ٤١٣ ـ ٤١٥ ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٣٧ ، مقتل الحسين ـ لابن أعثم الكوفي ـ : ١٥٢ ـ ١٥٦ ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٥٨ ـ ٦٢ ، الردّ علىٰ المتعصّب العنيد : ٤٤ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٦ .

بعوده ، قال له : «ارفع عودك عن هاتين الشفتين ! فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبّلهما .

ثمّ بكىٰ زيد ، فقال له ذلك الخبيث : أتبكي لما فتح الله للأمير ؟ ! لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لأخذت الذي فيه عيناك !

فخرج زيد وهو يقول : ملكَ عبدٌ حرّاً ، أنتم يا معشر العرب عبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن بنت رسول الله وأمّرتُم ابن مرجانة»[1] .

ولا أستحضر مُنْكِراً علىٰ ابن زياد غير هذين الرجلين ، وكلماتهما وإنْ كانت ذات قيمة ثمينة في مثل تلك الأيّام العصيبة والمواقف الرهيبة ، ولكن أيّ شيء لها من التأثير ؟ !

وما ميلها في تلك التيارات الجارفة والزوابع القاصفة ؟ !

وهل هي إلّا كلمات قيلت وذهبت أدراج الرياح ؟ !

وهل كانت تكفي لإيجاد بواعث الثورة ، وتكوين الانقلاب علىٰ بني أُميّة وتحرير النفوس وغليان الأفكار وتأجيج النار لطلب الثار ؟ !

كلّا ثمّ كلّا ، فإنّ الأمر يحتاج إلىٰ أكثر من ذلك ، يحتاج إلىٰ المثابرة والتعقيب في الخطب الرنانة والكلمات المهيّجة ، وتشهير المثالب والمساوئ ، ونقد السيّئات ونعيها علىٰ تلك الدولة الغاشمة والسلطة الظالمة والحكومة الجائرة .

فإنّ بهذا ومثله تتكوّن في الأُمّة روح ثورة وآنفجار يكتسح ظلم الظالمين ، وتقتلع عروق الجور والاستبداد .

---

(١) آنظر : أنساب الأشراف ٣ / ٤١٢ ـ ٤١٣ ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٣٦ ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٥٨ ـ ٦٢ ، الردّ علىٰ المتعصّب العنيد : ٤٤ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٦ ، أسد الغابة ٢ / ٢١ ترجمة الإمام الحسين ، البداية والنهاية ٨ / ١٥٢ .

قل لي برأيك أيّها الناقد، أيّ رجالات ذلك العصر كان يقدر على القيام بتلك المهمّة، ويقوىٰ علىٰ النهوض بذلك العبء؟!

أليس قصارىٰ أمره مهما كان من البسالة والجرأة أن يقول الكلمتين والثلاث، فيقال: خذوه فاقتلوه فاصلبوه في السبخة أو في الكناسة؟!

أليس زين العابدين عليه السلام مع أنّه عليل أسير ـ والأسير لا يُقتل ـ قد أمر ابن زياد بقتله لجواب خفيف وقول طفيف، فإنّ ابن زياد بعد أن فرغ من تحدّي زينب وأخرجته بقوّة العارضة والبيان من الميدان مكعوماً[1] بالخزي والخذلان التفت إلىٰ زين العابدين، فقال: «من هذا؟!

فقيل له: هو عليّ بن الحسين عليه السلام.

فقال: أليس قد قتل الله عليّاً؟!

فقال سلام الله عليه: كان لي أخ يقال له عليّ قتله الناس.

فقال ابن زياد: بل الله قتله!

فقال الإمام: ﴿**الله يتوفّىٰ الأنفس حين موتها**﴾[2].

فقال له: أوَبِكَ جرأةٌ علىٰ ردّ جوابي؟! يا غلمان! خذوه فاضربوا عنقه!

فتعلّقت به زينب، وقالت: يا بن زياد! حسبك من دمائنا ما سفكت، فإن عزمت علىٰ قتله فاقتلني معه.

---

(١) الكعام: شيء يجعل علىٰ فم البعير، كعم يكعمُ كعماً، فهو مكعوم وكعيم: شدّ فاه، والجمع: كُعُم.

أنظر: لسان العرب ١٢/ ١١٠ مادّة «كعم».

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٤٢.

فقال الطاغية: عجباً للرحم! فوالله لوَدِّتْ أن تموتَ دونه، اتركوه لِما به»[١].

وما تركه رحمةً لها، ولكن قد رأىٰ أنّ العلّة والإسار والأغلال والجامعة[٢] ستقضي عليه وتكفي ابن زياد مؤنة قتله.

فإنّ سلامة زين العابدين وبقاء حياته كان من خوارق العادة، وعلىٰ خلاف مجاري الأسباب، ولو قُتل أو مات في تلك البرهة لانقَطَعَ نسل الحسين، ولكن مشيئة الله سبحانه وقضاءه السابق بأنّ الأئمّة من ذرّيّته لا يردّ ولا يُغلب، وكانت زينب هي السبب في حفظه علىٰ الظاهر.

فليكن هذا وجهاً خامساً لحمل العيال، فلعلّ الحسين عرف العلّة والمرض لا يكفي في سلامة ولده، وأنّهم قد يقتلونه علىٰ مرضه، وأنّ لزينب موقفها الباهر في المفاداة والدفاع عنه.

وكلّ غرضنا من سحب أذيال هذا المقال، أن يتجسّم لديك كيف كان الحال في كمّ الأفواه، وعقل الألسن، وإرجاف القلوب، ومشق الحساب لضرب الهام علىٰ أقلّ الكلام.

إذاً فمن يَردّ تلك الأمانة ويؤدّي تلك الوديعة، وديعة الحقّ، وأمانة الصدق، والانتصار للحقيقة، وإزهاق الباطل؟!

نعم، فمن بكلّ تلك الوظائف علىٰ أوفىٰ ما يرام، وأتمّ ما يحصل به الغرض، فَمْنَ به ودائع النبوّة وحرائر الوحي والرسالة، نهضن بتلك

(١) أنظر: ترجمة الإمام الحسين ـ لابن سعد ـ: ٧٩، تاريخ الطبري ٣/٣٣٧، مقتل الحسين ـ لابن أعثم الكوفي ـ: ١٥٠ ـ ١٥١، الكامل في التاريخ ٣/٤٣٥.

(٢) الجامعة: الغُلّ؛ لأنّها تجمع اليدين إلىٰ العنق.
أنظر: لسان العرب ٢/٣٥٩ مادّة «جمع».

الأعباء الثقيلة التي تعجز عنها الأبطال وأُسود الرجال.

كأنّ الحسين عليه السلام علم ـ ولا شكّ أنّه علم ـ أنّه سيُقتل هو وجميع أهل بيته وأنصاره، ولا يبقىٰ رجل يتسنّىٰ له الكشف لجمهرة ذلك الخلق التعس عن فظاعة تلك الجناية وشناعة تلك الجرائم السيّئة، ولو أهمل هذه الناحية المهمّة لذهب قتله سدىً، ولفات الغرض والغاية، فلم يجد بُدّاً من حمل تلك المصونات معه لتكميل ذلك المشروع الذي ابتذل نفسه ونفوس أعزّته في سبيله.

وعلم سلام الله عليه أنّ بني أُميّة مهما بلغوا في خرق النواميس وهتك الحرمات والتجاوز علىٰ الشناشن[1] العربية، والشرائع الإسلامية، ولكنّهم لا يقدرون علىٰ قتل النساء؛ لا يقدرون علىٰ قتل امرأة مصابة مفجوعة تكلّمت بشيء من الكلام تبريداً وتسكيناً للوعتها.

ويوم الطفّ وإنْ قَتَلَ حزبُ بني أُميّة عدّةً من النساء[2] الوديعات،

---

(١) الشِّنْشِنة: الطبيعة والخليقة والسَّجيّة، والشناشن العربية: يعني السجايا والأخلاق والطبائع العربية.

انظر: لسان العرب ٧/ ٢٢٠ مادّة «شنن».

(٢) استُشهدت مع الإمام الحسين عليه السلام يوم الطفّ امرأةٌ واحدة، هي: أُمّ وهب النمرية القاسطية، ذكر ذلك الطبري في تاريخه، بعد أن سرد قصّة التحاقها هي وزوجها عبد الله بن عمير الكلبي بركب الإمام عليه السلام يوم الطفّ، وخروج زوجها للمبارزة والقتال بين يدي الإمام عليه السلام، وخورجها هي أيضاً للقتال شاحذةً همّة زوجها، مناصرةً لإمام زمانها، ولكنّ الإمام عليه السلام منعها وردّها إلىٰ الخيام، قائلاً لها: ارجعي رحمك الله إلىٰ النساء، فإنّه ليس علىٰ النساء قتال.

قال: وخرجت إلىٰ زوجها بعد أن استشهد حتّىٰ جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنّة؛ فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام له يسمّىٰ رستم:
☜

كما قتلوا الأطفال[١]، ولكنّ الحربَ لها أحكام وشـواذّ لا تجري في غيرهـا.

لا، وكلّا، لا يستطيع ابن زياد ـ مهما طغىٰ وتجبّر ـ أن يقتل ساعة السلم، امرأة عزلاء، أسيرة بين يديه، لا تحمل من السلاح إلّا قلبها ولسانها، قلبها درعها، ولسانها [سيفها]، لا يستطيع أن يقتل امرأة مهما تجرّأت عليه، بل ولا يستطيع أن يمدّ يده إليها فيضربها[٢].

اضرب رأسها بالعمود! فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها.

تاريخ الطبري ٣/٣٢١ ـ ٣٢٢ و ٣٢٦، وآنظر: أنساب الأشراف ٣/٣٩٨، الكامل في التاريخ ٣/٤٢٢، البداية والنهاية ٨/١٤٥.

إلّا أنّ ابن أعثم الكوفي وآبن شهرآشوب والخوارزمي وآبن طاووس رووا أنّها كانت مع ولدها وهب وزوجته، التي حاولت أن تثنيه عن الخروج والقتال مع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في بادئ الأمر، لكنّ أُمّه كانت تشدّ من أزره وتحثّه علىٰ الاستشهاد بين يدي الإمام عليه السلام ليكون شفيعاً له عند ربّه يوم القيامة، إلّا أنّ زوجته أخذت ـ بعد ذلك ـ عموداً فأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأُمّي! قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فأقبل ليردّها إلىٰ النساء، فأخذت بثوبه وقالت: لن أعود دون أن أموت معك؛ وظلّت تقاتل معه إلىٰ أن ردّها الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ الخيمة.

آنظر: الفتوح ـ لابن أعثم ـ ٥/١١٦ ـ ١١٧، مناقب آل أبي طالب ـ لابن شهرآشوب ـ ٤/١٠٩ ـ ١١٠، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢/١٥ ـ ١٦، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٦١.

(١) وآستُشهد مع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم الطفّ من الأطفال الّذين لم يبلغوا الحلم خمسة، وهم: عبد الله بن الحسين الرضيع، وعبد الله بن الحسن، ومحمّد بن أبي سعيد، والقاسم بن الحسن، وعمرو بن جنادة الأنصاري؛ وقد ذكر أصحاب السير والتواريخ كيفية استشهادهم.

آنظر: تاريخ الطبري ٣/٣٣١ ـ ٣٣٤، الكامل في التاريخ ٣/٤٢٨ ـ ٤٣٣، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ: ٢/٢١ ـ ٢٢، مناقب آل أبي طالب ٤/١٠٤.

(٢) أقول: إنّ ابن مرجانة وأمثاله لا يتوانون ولا يتورّعون عن الاعتداء علىٰ حُرَمِ

إنّ زينب العقيلة لمّا سوّدت وجه ابن زياد ولطمته تلك اللطمة السوداء بقولها: «ثكلتك أُمّك يا بن مرجانة!»، اسودّت الدنيا في عينه، حيث عرف والحاضرون ما أرادت، فَهَمَّ أن يضربها، ولكنّ عمرو بن حريث، وهو من أكبر القوّاد في جند ابن سعد، وكان أميراً علىٰ الرجّالة بعد أن كان من خواصّ أمير المؤمنين في صفّين، أنكر عليه وجاءه بحجّة، وهي أنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد: «أما تراها كيف تجرّأت عليّ؟!»[1].

كان الحسين وأنصاره قد وقفوا يوم الطفّ موقفاً تجسّمت فيه روح الشجاعة والبسالة، وأصبح المثل الأعلىٰ للعزم والإقدام والاستهانة بهذ الحياة في سبيل العزّ والإباء، ودون موارد الذلّ!

وقفوا موقفاً ما حدّثنا التاريخ بمثله، ولا سمع الدهر بنظيره!

وقف سبعون رجلاً في مقابل سبعين ألفاً، ومددهم إلىٰ الكوفة، بل إلىٰ الشام متواصل، وهؤلاء لا مدد لهم، هؤلاء علىٰ شاطئ النهر يكرعون منه، وينتهلون كلّ حين، وأُولئك قد حُبسوا عن الماء يومين أو ثلاث،

رسول الله ﷺ، فهمّه بضرب عقيلة الطالبيّين زينب عليها السلام، التي اعتادت أن ترىٰ مثل هذه الاعتداءات من هؤلاء القوم وأسيادهم؛ فمِن قبلُ رأت كيف عاملوا أُمّها الزهراء عليها السلام ولم يرعوا لها حرمة بمجرّد غياب رسول الله ﷺ، وكيف قادوا أباها عليّاً عليه السلام ليأخذوا منه البيعة قهراً، وكيف رموا نعش الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام بالنبل، لدليل علىٰ ذلك، إلّا أنّ الله تعالىٰ قيّض وجود بعض الّذين تحرّكهم الشيم والسجايا والأعراف العربية ـ وليس الورع والتقوىٰ والمودّة في القربىٰ التي أمر بها الكتاب العزيز، ووصّىٰ بها النبيّ الأكرم ﷺ ـ ممّا حال دون ذلك.

فانظر وتأمّل!

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٣/٣٣٧.

والعطش وحرّ الهجير ورمال الصحراء أحرق أجسادهم، وفتّت أكبادهم، وأطفالهم يتصارخون من العطش نصب أعينهم، وعلىٰ احتفاف أضعاف ذلك الرزايا والمحن بهم.

نعم، ومع كلّه ما هانوا ولا استكانوا، ولا فشلوا ولا ذلّوا، بل كانوا يزدادون بشراً وطلاقة، وعزماً وصلابة، وعزّاً وشهامة.

حقّاً إنّه لموقف باهر، ومقام قاهر، وحديث مدهش، ونفوس غريبة، بل وفوق الغرابة بمكان!

ولكن ألا أدلّك علىٰ أدهىٰ من موقف أنصار الحسين عليه السلام وأدهش وأبهىٰ وأبهر؟! هو موقف عقائل النبوّة في مجلس يزيد وابن زياد!

أتستطيع أن تستحضر في نفسك، وتتمثّل في أُمّ رأسك مجلس ابن زياد في قصر الإمارة بالكوفة وقد أدْخلوا عليه السبايا والرؤوس، وفيهنّ الحرّة الحوراء زينب الكبرىٰ، وهو سكران بنشوة الفتح والظفر، ورؤساء الأرباع والأسباع[1]، ورؤوس القبائل مثول بين يديه، والدنيا مقبلة بكلّ وجهها عليه؟!

دخلت عليه تلك العقيلة وجلست ناحية متنكّرة، فأبت نفسه الخبيثة أن يصفح صفح الكرام، ويغضي إغضاء الأماجد، أبت نفسه إلّا إظهار الشماتة، ولؤم الملَكة، وخبث الظفر، وسوء الاستيلاء، وقبيح

(١) الأرباع: جمع الرَّبْع؛ أي المنزل والمحلّة والدار.
والأسباع: جمع السُّبْع ـ بالضمّ ـ: وهي جزء من سبعة.
انظر: لسان العرب ٥/ ١١٥ مادّة «ربع»، تاج العروس ١١/ ١٩٩ مادّة «سبع».
ورؤساء الأرباع والأسباع كناية عن رؤساء العشائر والأحياء والمجاميع التي كانت حاضرة مجلس يزيد حين دخول حرم رسول الله سبايا إلىٰ قصره.

الأثرة، فسأل ـ ولا شكّ مراده أن يتحدّاها ويهتكها ـ وهو المهتوك ـ، وقال: «مَن هذه المتنكّرة؟!

فقيل له: هي زينب بنت عليّ عليه السلام.

فقال لها قول الشامت الشاتم: أرأيت كيف صنع الله بأخيك الحسين والعتاة المردة من أهل بيته؟!

فقالت ـ قول الثابت الجَنان، المتدرّع بدلاص[1] اليقين والإيمان، المستحقر له ولكلّ ما له من قوّة وسلطان ـ: ما رأيت إلّا جميلاً، أُولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم فانظر لمن الفلج[2]؟! ثكلتك أُمّك يا بن مرجانة!

فلمّا لطمته بهذه اللطمة السوداء لم يجد سبيلاً للتشفّي منها والانتقام إلّا بأسوأ الكلام من السباب والشتيمة، فقال: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم، وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت ـ غير طائشة ولا مذعورة ـ: إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

وقف الحسين وأنصاره ظهيرة عاشوراء وهم علىٰ خيولهم الجياد،

---

(١) الدِّلاص من الدروع: الليّنة، ودرعٌ دِلاص: برّاقة ملساء ليّنة بيّنة الدَّلَصِ، والجمع: دُلُصٌ.
أنظر: لسان العرب ٤ / ٣٨٨ مادّة «دلص».

(٢) الفَلْجُ: الظَّفَرُ والفوز، وقد فَلَجَ الرجلُ علىٰ خصمه يفلجُ فلجاً.
أنظر: لسان العرب ١٠ / ٣١٤ مادّة «فلج».

وفي أيمانهم البيض الحداد[١]، وعلىٰ متونهم السمر الصِّعاد[٢]، قد رفلوا بأبراد العزّ، وتكلّلوا بتيجان الشرف، لا يُقتل منهم واحد حتّىٰ يَقتلوا ألفاً من عدوّهم[٣]، وهم ضاحكون مستبشرون، ثقة بما يصيرون إليه بَعدُ من منازل الفردوس الأعلىٰ في دار النعيم.

كان هذا موقف الحسين وأنصاره يوم الطفّ.

ووقفت زينب بنت عليّ عليها السلام والخفيرات من أهل بيتها في مجلس ابن زياد وهم في قيد الإسار، وذلّ الصغار، لا ترىٰ أمام عينها إلّا عدوّاً شاتماً، أو كاشحاً[٤] شامتاً، أو قاتلاً لحُماتها وسُراتها، واليتامىٰ والأيامىٰ حولها، كلّ هذه الشؤون والشجون ممّا تذيب القلب، وتذهل اللبّ، وتطيش عندها الأحلام، وتخرس الألسنة، وتموت الفطنة، ولا يستطيع أجلد إنسان أن ينبس بكلمة في مثل تلك الكوارث.

أفهل تخشىٰ ـ لو تصوّرت مزايا تلك الرزايا لزينب ـ أن تقول: إنّ موقفها عند ابن زياد كان أعظم من موقف أنصار الحسين يوم الطفّ عند جند ابن سعد؟!

---

(١) البيض الحِداد: السيوف الحداد القاطعة التي شُحذت ومُسحت بحجر أو مبرد.
أنظر: لسان العرب ١ / ٥٥٥ مادّة «بيض» و ج ٣ / ٨٠ مادّة «حدد».

(٢) الصعدَةُ: القناة، وقيل: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلىٰ التثقيف، والجمع: صِعاد، وقيل: هي نحوٌ من الألّةِ والألّةُ أصغرُ من الحربة.
أنظر: لسان العرب ٧ / ٣٤٤ مادّة «صعد».

(٣) جهة الالتئام دقيقة مع ما سبق في صحيفة ٥٦، وقف سبعون رجلاً في مقابل سبعين ألفاً بالمبالغة هنا والحقيقة هناك ١٣. منه رحمه الله.

(٤) الكاشح: العدوّ المبغض الذي يضمر لك العداوة ويطوي عليها كَشْحَهُ، أي: باطنه.
أنظر: لسان العرب ١٢ / ٩٩ مادّة «كشح».

قل ولا تخف ، وعليّ الإثبات .

هل أحسستَ في تلك الساعة الرهيبة من زينب أمام عدوّها القاسي الظالم الشامت الشاتم أن تلجلج لسانها ؟ ! أو اضطرب جَنانها ؟ ! أو ظهر عليها ذرّة من الذلّ والاستكانة ؟ ! أو خضعت فانقطعت ؟ ! أو عجزت عن ارتجال الخطب البليغة التي لو جاء بها الوادع الساكن والمطمئنّ الآمن بعد ليالٍ وأيّام لكانت آية من آيات الإبداع ، ورمزاً من رموز البراعة ؟ !

فكيف وقد اندفعت بها في حشد الرجال علىٰ سبيل الارتجال ، وهي علىٰ ما عرفتَ من الوضع ؛ عنه يقال في الشدّة : «بين ذارعي وجبهة الأسد»[1] ، تتقاذفها لهوات الكرب ، وتلوكها وتمضغها أنياب النوب ، حتّىٰ إنّ ابن زياد أعجمَ عودَها[2] ، فرآها صلباً مرّاً ، لا يلين لغامز ، ولا يلذّ لماضغ ، وأنّها لا تنقطع ولا تكلّ ، ولا تعرف للرهبة وللخوف معنىً ، وخشي أن لا تُبقي من هتكه وفضيحته باقية ، وأن تقلب عليه الرأي العامّ ، وتُحْدِث في جماعته فتقاً لا يرتق ، غيَّرَ من خطّته ، وتنازل عن

---

(١) عجز بيت للفرزدق ، وتمامه :

يا مَن رأىٰ عارضاً أسرَّ به بين ذراعي وجبهة الأسدِ

أنظر : شرح ديوان الفرزدق : ٢١٥ ، كتاب سيبويه ١ / ١٨٠ ، إملاء ما مَنَّ به الرحمٰن : ٤٨٠ تفسير سورة الروم ، خزانة الأدب ٢ / ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

وأورده صاحب مغني اللبيب : ٤٩٨ رقم ٧٠٧ وفي ص ٨٠٩ رقم ١٠٤٧ دون أن ينسبه لأحد .

(٢) العَجْمُ : عَضٌّ شديدٌ بالأضراس دون الثنايا ، وعجم الشيء يعجمه عجماً وعجوماً : عضّه ليعلم صلابته مِن خَورِهِ ورَخاوَته .

أنظر مادّة «عجم» في : لسان العرب ٩ / ٧٠ ، تاج العروس ١٧ / ٤٦٣ .

وأعجمَ عودَها : يعني اختبر قوّتها وصلابتها سلام الله عليها .

غُلوائه[1] وشدّته ، فكان آخر كلامه معها بعد أن شفت غليلها منه : لعمري إنّها لسجّاعة ، ولقد كان أبوها أسجع منها[2] ؟ !

لا يا بن مرجانة ! ما هي بسجّاعة ، هي أُمثولة الصبر والثبات ، ورمز غلبة الحقّ علىٰ الباطل ، وٱحتقار الحكم الزائف والملك الزائل ، وسلطنة الخداع والمكر .

لا يا بن مرجانة ! هذه زينب بنت عليٍّ الذي عَلَّمَ الناس الفصاحة ، والبراعة ، والشجاعة ، والسجاعة .

هذه زينب بنت الزهراء البتول ، لا كمرجانة وسميّة ذوات الأعلام في الجاهلية والإسلام[3] .

هذه زينب بنت الطاهرة العذراء ، لا كهند الخرقاء[4] ، صاحبة

---

(١) الغُلْواء : سرعةُ الشباب وشِرّته ، وغُلَواءُ كلّ شيء أوّلُه وشِرّته .
آنظر : لسان العرب ١٠ / ١١٤ مادّة «غلا» .

(٢) آنظر : تاريخ الطبري ٣ / ٣٣٧ ، مقتل الحسين ـ لابن أعثم الكوفي ـ : ١٥٠ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٤٣٥ ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٤٧ ـ ٤٨ .

(٣) سميّة : هي جارية للحرث بن كلدة ، الطبيب الثقفي ، كانت من البغايا ذوات الرايات بالطائف ، وتسكن حارة البغايا خارجاً عن الحضر ، وتؤدّي الضريبة للحرث ، وكان قد زوّجها من غلام رومي له اسمه عبيد ، وفي أحد أسفار أبي سفيان للطائف طلب من أبي مريم الخمّار بغيّاً ، فقدّم له سميّة فعلقت بزياد ووضعته علىٰ فراش عبيد سنة إحدىٰ من الهجرة ، وكان يُنسب إليه ، ألحقه معاوية بأبيه أبي سفيان فقيل له : زياد بن أبي سفيان .
ومرجانة : هي زوجة زياد بن أبي سفيان ، وأُمّ عبيد الله بن زياد .
آنظر : الاستيعاب ٢ / ٥٢٣ رقم ٨٢٥ ، أُسد الغابة ٢ / ١١٩ رقم ١٨٠٠ ، مروج الذهب ٣ / ٦ .

(٤) الخُرق : الجهل والحُمق ؛ خَرُقَ خُرقاً ، فهو أخرق ، والأُنثىٰ خرقاء ، وٱمرأة ☜

القارعة[١] والفاكّة[٢]، التي يقول فيها حسّان شاعر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لمن الصبي بجانب البطحاء.. البيتين[٣].

وما كانت تلك الشجاعة منها سلام الله عليها في مرّة أو مرّتين، بل كانت كلّما ضاق الأمر، وآشتدّت المحنة، وتجمهر المتفرّجون عليهم عند دخولهم الكوفة، وعند خروجهم منها، وفي قصر الإمارة، وفي مجلس ابن زياد؛ في كلّ ذلك تتحدّىٰ فتدهش، وتحتجّ فتفلج، وتخطب فتعجب، تخطب خطبة البليغ المُدِرّ[٤]، والمصقِع[٥] المفوّه الذي تهيّأت

خرقاء : أي غير صَنَاع ولا لها رِفق، فإذا بنت بيتاً انهدم سريعاً.

آنظر : لسان العرب ٤ / ٧٤ مادّة «خرق».

(١) قارعة الدارِ : ساحَتها، وقارعة الطريق : أعلاه، وقيل : وسطه، وقيل : هو نفس الطريق.

وصاحبة القارعة : كناية عن المرأة التي تكثر الجلوس علىٰ قارعة الطريق ولا يسلم من لسانها المارّة، ولا تبالي بما يقال فيها.

آنظر : لسان العرب ١١ / ١٢٣ مادّة «قرع».

(٢) الفاكُّ : الـهَرِمُ من الإبل والناس، فَكَّ يَفُكُّ فكّاً وفكوكاً، وشيخ فاكٌّ إذا انفرج لحياه من الهَرم.

آنظر : لسان العرب ١٠ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨ مادّة «فكك».

(٣) قال حسّان بن ثابت لهند ابنة عتبة بن ربيعة :

لِمَنْ الصَّبِيُّ بِجانِبِ البَطْحاءِ مُلقىً عليه غَيرَ ذي مَهْدِ

نَجلَتْ بِهِ بيضاءُ آنِسَةٌ مِن عَبْدِ شَمْسٍ صَلْتَةُ الخَدِّ

آنظر : ديوان حسّان بن ثابت ١ / ٣٩٦.

(٤) الـمُدِرُّ : المكثر، ودَرَّت السماء بالمطر دَرّاً، إذا كثر مطرها، وسماء مِدرار أي تدرّ المطر.

وهنا كناية عن غزارة علم السيّدة زينب سلام الله عليها وبلاغتها.

آنظر : لسان العرب ٤ / ٣٢٦ مادّة «درر».

(٥) المصقع : البليغ الماهر في خُطبته، والجمع : مصاقع.

آنظر : تاج العروس ١١ / ٢٧٥ مادّة «صقع».

له كلّ أسباب الدعة والراحة والفراغ والطمأنينة .

دخل السبي إلىٰ الكوفة بحال (يذوب الصفا منها ويشجي المحصبُ)[١] ، فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون ، فقال عليّ بن الحسين عليه‌السلام وقد أنهكته العلّة : «تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم ، فالحَكَمُ بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء»[٢] .

ثمّ تعاظمت الفجيعة فصار الرجال والنساء يبكون معاً ، فقال عليه‌السلام : «أتبكون وتنوحون لنا ؟ ! فمن قتلنا ؟ !»[٣] .

قال بشر بن خزيم الأسدي[٤] : ونظرت إلىٰ زينب بنت عليّ عليه‌السلام

---

(١) عجز بيت للشيخ هاشم الكعبي ، من قصيدة طويلة يرثي بها الإمام الحسين عليه‌السلام في ٩٩ بيتاً ، مطلعها :

مُتىٰ القلب أن تدنو منّي بعولةٍ ... وللركب قصدٌ دون ذاك ومطلبُ

إلىٰ أن يقول :

ورحن كما شاء العدوّ بعولةٍ ... يذوب الصفا منها ويشجي المحصبُ

ويقول في آخر القصيدة :

ولي منك موعودٌ أرجىٰ نجاحه ... وموعدك الحقّ الذي ليس يكذبُ

والناظم هو : الشيخ هاشم بن حردان الكعبي الدورقي ، وُلد ونشأ في (الدورق) مسكن عشائر كعب في الأهواز ، ثمّ سكن كربلاء والنجف ؛ وهو من فحول الشعراء وفي طليعتهم ، نظم في رثاء أهل البيت عليهم‌السلام فأكثر وأبدع وأجاد ، له ديوان أكثره في الأئمّة عليهم‌السلام ويضمّ بين دفّتيه عشرين قصيدة حسينية أو أكثر ، توفّي سنة ١٢٣١ هـ .

انظر : الديوان : ١ ـ ٦ ، أدب الطفّ ٦ / ٢١٨ .

(٢) الكلام لأُمّ كلثوم كما في : ينابيع المودّة ٣ / ٨٦ ، بحار الأنوار ٤٥ / ١١٥ .

(٣) انظر : مقتل الحسين ـ لابن أعثم الكوفي ـ : ١٤٧ ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٤٥ ، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف : ١٩٢ .

(٤) كذا في الأصل ، وقد اختلف أصحاب السير والتواريخ في ضبط اسمه ، ففي بلاغات النساء : ٧٤ ـ ٧٧ : حذام الأسدي ، ومرّة أُخرىٰ حذيم ، وفي الأمالي

=

يومئذ فلم أر خفرة قطّ أنطق منها كأنّما تنطق عن لسان أمير المؤمنين عليه‌السلام، وقد أومأت إلىٰ الناس أن اسكتوا، فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس[1]، ثمّ قالت:

«الحمد لله، والصلاة علىٰ أبي محمّد وآله.

أمّا بعد..

يا أهل الكوفة! يا أهل الختل[2] والغدر! أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي ﴿ نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً ﴾[3].

واندفعت كالسيل المنحدر، إلىٰ أن قالت:

أتبكون وتنتحبون؟!

إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها

ـ للشيخ المفيد ـ: ٣١٢: حذلم بن ستير، وفي نسخة بدل: حذلم بن بشير، وفي الاحتجاج ٢/٢٩ و ٣١: حذيم بن شريك الأسدي، وفي مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢/٤٥: بشير بن حذيم الأسدي، وفي الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٩٢ ـ ١٩٤: بشير بن خزيم الأسدي، وفي الرجال ـ للطوسي ـ: ٨٨ باب الحاء: حذيم بن شريك، وقد عدّه من أصحاب الإمام عليّ بن الحسين عليه‌السلام.

(١) الجَرْسُ والجِرْسُ والجَرَسُ: الصوت الخفي، والحركة والصوت من كلّ ذي صوت، والجَرَسُ: الذي يُضرَب به، والجمع: أجراس.
انظر: لسان العرب ٢/٢٤٨ مادّة «جرس».

(٢) الختل: تخادع عن غفلة، خَتَله يختُله ويختِله ختلاً وختلاناً، وخاتلهُ: خدعه عن غفلة، والختل: الخديعة.
انظر: لسان العرب ٤/٢٤ مادّة «ختل».

(٣) سورة النحل ١٦: ٩٢.

وشنارها[١].

ويلكم! أتدرون أيَّ كبدٍ لرسول الله فريتم؟! وأيَّ كريمة له أبرزتم؟! وأيَّ دم له سفكتم؟!

أفعجبتم أن قطرت السماء دماءً ﴿ولعذاب الآخرة أخزىٰ﴾[٢] وأنتم لا تنصرون..

فلا يستخفنّكم الجهل، فإنّه لا يحفزه البِدار[٣]، ولا يخاف فوت الثار، وإنّ ربّكم لبالمرصاد.

قال: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارىٰ يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً يبكي حتّىٰ اخضلّت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يذلّ ولا يخزىٰ»[٤].

---

(١) الشِّنار: أقبح العيب والعار.
انظر: لسان العرب ٧/ ٢١١ مادّة «شنر».

(٢) سورة فصّلت ٤١: ١٦.

(٣) بادَرَ الشيء مبادَرَةً وبِداراً وابْتَدَرَهُ وبَدَرَ غيره إليه يَبْدُرُه: عاجَلهُ، ولا يحفزه البِدار؛ أي لا تدفعه المعاجلة، والضمير عائد إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.
انظر: لسان العرب ١/ ٣٤٠ مادّة «بدر».

(٤) انظر: الأمالي ـ للمفيد ـ: ٣٢١ ـ ٣٢٤، الأمالي ـ للطوسي ـ: ٩١ المجلس الثالث رقم ١٤٢، الاحتجاج ٢/ ١٠٩ ـ ١١٤، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢/ ٤٥ ـ ٤٧، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٩٢ ـ ١٩٤.
وقد أورد ابن طيفور الخطبة كاملة، إلّا أنّه نسبها إلىٰ أُمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «...، عن حذام الأسدي ـ وقال مرّة أُخرىٰ: حذيم ـ، قال: قَدِمْتُ الكوفة سنة إحدىٰ وستين، وهي السنة التي قُتل
☜

ثمّ خطبت أُمّ كلثوم بخطبة بليغة[١].

ثمّ خطبت فاطمة الصغرىٰ بخطبتها التي تقول في أوّلها: «**الحمد لله عدد الرمل والحصىٰ، وزنة العرش إلىٰ الثرىٰ...**»[٢] إلىٰ آخر ما قالت.

هذا كلّه وهم سائرون، يساقون في السبي علىٰ الهوادج والمحامل، وفي الكوفة، وعند ابن زياد.

ولكن هلمّ معي ندخل مع هذا السبي إلىٰ الشام، وننظر كيف دخوله علىٰ يزيد ووقوفهم بين يديه، ولنستبق إلىٰ مجلس يزيد نتبوّأ لنا موقفاً منه قبل ازدحام المتفرّجين وتزاحم النظّارة..

ووقفنا في حاشية النادي الأُموي نتطلّع..

هذا يزيد جالس علىٰ السرير فوق المِصْطَبّة[٣] العالية، وهو مخمور يرنّح أعطافه[٤] من خمرتين: خمرة

فيها الحسين عليه السلام... إلىٰ أن قال: ورأيت أُمّ كلثوم ـ رضي الله عنها ـ ولم أرَ خفرة... إلىٰ أن قال: ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفي، وقد اخضلّت لحيته من دموع عينه، وهو يقول:

كهولكم خيرُ الكهول ونَسْلُهُمْ إذا عُدَّ نسلٌ لا يبورُ ولا يُخزىٰ»

أنظر: بلاغات النساء: ٧٤ ـ ٧٧.

(١) أنظر: بلاغات النساء: ٧٤، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٩٨.

(٢) الاحتجاج ٢ / ١٠٤ ـ ١٠٨ رقم ١٦٩، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف: ١٩٤ ـ ١٩٧.

(٣) المَصْطَبّةُ ـ بكسر الميم أو فتحها وتشديد الباء الموحّدة ـ: هي مجتمع الناس، كالدُّكّان للجلوس عليه.

أنظر مادّة «صطب» في: لسان العرب ٧ / ٣٣٩، تاج العروس ٢ / ١٤٤.

(٤) التَّرَنُّحُ: تَمَزُّز الشراب، ورَنَّحَ الرجلُ وغيره وتَرَنَّحَ: تمايل من السُكر

العُقار[١]، وخمرة الانتصار، ومنتشٍ بنشوتين: نشوة الملك، ونشوة الفتح والظفر[٢]، ودونه طواغيت بني أُميّة من الأعياص والعنابسة[٣] من بني عبد شمس، وهم علىٰ كراسي الذهب والعاج،

وغيره.

أنظر: لسان العرب ٥/ ٣٣١ مادّة «رنح».

والعِطفُ: المَنكِبُ، منكِب الرجل عطفه، وإبطه عِطفُهُ، والعُطوف: الآباط، وعِطفا الرجل والدابّة: جانباه عن يمين وشمال، وشِقّاه مِن لَدُن رأسه إلىٰ وركه، والجمع أعطاف وعِطاف وعُطوف: وعِطفا كلّ شيء: جانباه.

أنظر: لسان العرب ٩/ ٢٦٩ مادّة «عطف».

(١) العُقار: الخمر، سُمّيت بذلك لأنّها عاقرت العقل، يقال: عاقره إذا لازمه وداوَمَ عليه، والمعاقرة: إدمان شرب الخمر.

أنظر: لسان العرب ٩/ ٣١٧ مادّة «عقر».

(٢) أقول: نقل لنا أصحاب السير والتواريخ أنّ الله عزّ وجلّ نغّص نشوة يزيد بقتله أبي عبد الله الحسين عليه السلام في لحظات، ولم يدعه يهنأ بهذه النشوة؛ ذلك حين انبرىٰ له يحيىٰ بن الحكم أخو مروان، قائلاً:

لهام بِجَنبِ الطَّفِّ أدنىٰ قرابةً ... مِن ابنِ زياد العبدِ ذي الحسب الوغلِ

سُميّة أضحىٰ نسلُها عَدَد الحصىٰ ... وبنتُ رسولِ الله أضحتْ بلا نسلِ

وكذلك عندما اعترض عليه أبو برزة الأسلمي صاحب رسول الله، قائلاً: «ويحك يا يزيد! أتنكث بقضيبك ثغر الحسين ابن فاطمة؟! أشهد لقد رأيت النبيّ يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن، ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، فقتل الله قاتِلَكُما ولعنه، وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيراً».

أنظر: أنساب الأشراف ٣/ ٤١٢، تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٨ ـ ٣٤١، البدء والتاريخ ٢/ ٢٤٢.

(٣) كان لأُميّة من الوَلَد أحدَ عشرَ ذكراً، كلُّ واحد منهم يُكنّىٰ باسم صاحبه، فمنهم:

الأعياص، وهم: العاص وأبو العاص، والعيص وأبو العيص، والعوص لا كَنِيَّ له.

يرفلون بحلل الديباج..

وهذه أقداح الشراب والخمور، ونخب الفرح والسرور تدار عليه وعليهم، والأعواد والمزامير تضرب لديهم..

فبينما [هم] علىٰ هذا ومثله، إذ أدخلوا سبي آل محمّد ﷺ مربّقين[1] بالحبال، بين نساء وأطفال..

هناك استفزّته نشوة الأُنس والطرب، وتمنّىٰ حضور أشياخه قتلىٰ بدر، من عتبة وشيبة والوليد[2]؛ ليشاهدوا أخذه بثأرهم، وقيامه بأوتارهم، وأنّه زاد علىٰ أخذ الثار بقتل الرجال وسبي العيال، قائلاً:

والعنابس، وهم: حرب وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو؛ وإنّما سُمّوا العنابس لأنّهم ثبتوا مع أخيهم حَرب بن أُميّة بعكاظ، وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشُبِّهوا بالأسد، والأسود يقال لها العنابس، واحدها عنبسة.

آنظر: الأغاني ١/١٧ ـ ١٨، لسان العرب ٩/٤١٥ مادّة «عنبس».

(١) الربقة: الحبل، أو عروة في الحبل تُجعل في عنق الحيوان، والربق بالفتح: مصدر قولك: رَبَقْتُ الشاة والجدي أرْبُقُها وأربِقُها ربقاً، وربَّقها: شدّها في الربقة.

آنظر: لسان العرب ٥/١٢٣ مادّة «ربق».

(٢) لقد برز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة وآبنه الوليد يوم بدر إلىٰ القتال، فبرز لهم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحمزة عمّ النبيّ ﷺ وعبيدة بن الحارث؛ فقتل أميرُ المؤمنين الوليدَ بن عتبة، وقتل حمزةُ شيبةَ بن ربيعة، وآختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ الإمام عليّ عليه السلام علىٰ عتبة فقتله.

وعتبة بن ربيعة، هو والد هند زوجة أبي سفيان، أُمّ معاوية وجدّة يزيد؛ لذا هو يستذكر هنا أجداده من مشركي قريش الّذين هلكوا في معركة بدر الكبرىٰ علىٰ يد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ويعدّ انتصاره علىٰ الإمام الحسين عليه السلام هو أخذٌ بثارات بدر.

آنظر: تاريخ الطبري ٢/٣٢.

ليت أشياخي ببدر شهدوا[١]..

(١) صدر بيت للشاعر عبدالله بن الزِّبعْرىٰ من قصيدة قالها يوم أُحد، جاءت في ١٦ بيتاً، مطلعها:

يا غرابَ البينِ ما شئت فقلْ إنّما تندبُ أمراً قد فُعِلْ

ثمّ يقول:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسلْ

إلىٰ أن يقول:

بسيوف الهند تعلو هامهم عَلَلاً تعلوهُمُ بَعدَ نَهَلْ

هكذا أوردها ابن هشام في السيرة النبويّة ٤/٩٢ ـ ٩٣، وٱنظر نسبة القصيدة وبعض أبياتها في: طبقات فحول الشعراء ١/٢٣٧ ـ ٢٣٩، الحيوان ـ للجاحظ ـ ج ٥ م ٢/٣٤٤، مقاتل الطالبيّين: ١١٩، المؤتلف والمختلف ـ للآمدي ـ: ١٩٤ ـ ١٩٥.

أمّا بالنسبة للأبيات التي كان يتغنّىٰ بها يزيد ـ ورأس الإمام عليه السلام بين يديه مرّة، وأُخرىٰ عندما أرسل مسلم بن عقبة رؤوس أهل المدينة له بعد وقعة الحرّة المشهورة ـ فقد ذكرها الخوارزمي في مقتل الحسين ٢/٦٥ ـ ٦٦، فقد قال: فكشف عن ثنايا الحسين بقضيبه ـ أي يزيد ـ فقال له بعض جلسائه: ارفع قضيبك! فوالله ما أُحصي ما رأيت شفتَي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في مكان قضيبك يقبّله؛ فأنشد يقول:

١ ـ يا غراب البين ما شئت فقلْ إنّما تندبُ أمراً قد فُعِلْ
٢ ـ كلّ مُلك ونعيم زائلٌ وبنات الدهر يلعبن بكلْ
٣ ـ ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسلْ
٤ ـ لأهلّوا وٱستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا: يا يزيد لا تشلْ
٥ ـ لست من خِندفَ إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعلْ
٦ ـ لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزلْ
٧ ـ قد أخذنا من عليّ ثارنا وقتلنا الفارسَ الليثَ البطلْ
٨ ـ وقتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدرٍ فاعتدلْ

إنّ الأبيات من ٤ ـ ٧ المذكورة أعلاه لم ترد في السيرة النبويّة ـ لابن هشام ـ؛ لذا ذهب بعض أصحاب السير والتواريخ إلىٰ أنّها من إنشاء يزيد وزياداته علىٰ ←

هنالك قامت العقيلة زينب فقالت ، وآسمع ما قالت ، وآنظر كيف خطبت ، وهل راعها أو هالها شيء من تلك المظاهر الهائلة ؟!

✍ القصيدة :

● يقول ابن أعثم في مقتل الحسين ، ص ١٦٠ : ثمّ زاد فيها ـ أي في القصيدة ـ هذا البيت :

لست من عتبة إن لم أنتقم　　من بني أحمد ما كان فعلْ

● ويقول سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ ، ص ٢٣٥ : قال الشعبي : وزاد فيها يزيد ، فقال :

لعبت هاشم بالملك فلا　　خبر جاء ولا وحيٌ نزلْ
لست من خندف إن لم أنتقم　　من بني أحمد ما كان فعلْ

● ويقول ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٨٠ : وقد زاد بعض الروافض فيها ، فقال :

لعبت هاشم بالملك فلا　　خبر جاء ولا وحيٌ نزلْ

● وأورد صاحب العقد الفريد ٣/ ٣٧٤ البيتين ٣ و ٤ المذكورَين آنفاً ، وعلّق عليهما المحقّق قائلاً بأنّ البيت الثاني من إضافات يزيد .

● ويقول الطبري في تاريخه ٥/ ٦٢٣ : «فقال ـ أي : يزيد ـ مجاهراً بكفره ، ومظهراً لشركه» ؛ وذكر الأبيات ٨ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، المذكورة آنفاً .

أقول : إنّ قصيدة ابن الزِّبَعْرىٰ هذه كانت من الشهرة بمكان حتّىٰ كان يتناقلها الرواة من قبل أن يتغنّىٰ ويتمثّل بأبياتها يزيد ، وبعد أن تمثّل بها يزيد وأضاف فيها ما أضاف من الأبيات ـ في مجالس الشرب والغناء التي كان يقيمها وهو واضع رأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه ـ ، تناقلها الرواة كلٌّ حسب هواه ، فمنهم من لم يشأ إظهار كفر يزيد بحذفه بعض ما أضافه يزيد من الأبيات ، ومنهم من اتّهم بعض الشيعة بوضعها ، ومنهم من نقلها كما هي أمانةً للتاريخ ، مضيفين إليها ما في ذاكرتهم من الأبيات ؛ ولذا كان هذا الاختلاف في بعض ألفاظ الأبيات التي رويت علىٰ لسانه .

والحاصل : إنّ النتيجة واحدة ، سواء كانت الأبيات ليزيد أو لابن الزِّبعرىٰ ، فترديد يزيد لها وتغنّيه بها علىٰ إثر ما يعدّه انتصاراً في واقعتين كبيرتين ـ بل في جريمتين كبيرتين ـ سوّدتا وجه التاريخ ، دليل علىٰ كفره وشركه وآنحرافه عن الشريعة وخروجه من الدين والملّة .

وتأمّل في فقرات خطبتها التي قصمت بها الفَقار[١] من ظهر يزيد، وكانت أشدّ عليه من ضرب الحسام في يد الضرغام!

وآنظر كيف صيّرته ـ وهو بتلك الأُبّهة ـ أحقر من قلامة[٢]، وأقذر من قمامة!

قامت صلوات الله عليها فقالت:

«صَدَقَ اللهُ كَذلِكَ حينَ يَقول: ﴿ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤا السوأىٰ أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾[٣].

أَظَنَنْتَ يا يَزيد حَيْث أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقطارَ الأَرْضِ وَآفاقَ السَماءِ، فَأَصْبَحْنا نُساقُ بَيْنَ يَدَيْكَ كَما تُساقُ الأُسارىٰ، أَنّ بِنا عَلىٰ اللهِ هَواناً وَبِكَ عَلَيهِ كَرامَة، وَأَنّ ذلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَه؟! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ في عِطْفِكَ، جَذلان مَسْروراً، حَيْث رَأَيْتَ الدُنْيا لَكَ مُسْتَوْسِقة[٤]، وَالأُمور مُتَّسِقَة، وَحِينَ صَفا لَكَ مُلْكُنا وَسلطانُنا.

فَمَهْلاً مَهْلاً! أَنَسيتَ قَولَ اللهِ عَزّ وَجَلّ: ﴿ولا يحسبنّ الّذين

---

(١) الفِقرة والفَقَرَة والفَقار ـ بالفتح ـ: واحدة فَقار الظهر، وهو ما تنضّد من عظام الصلب من لَدُن الكاهل إلىٰ العَجب، والجمع: فِقَر وفَقار، وقيل: فِقْرات وفِقَرات.
آنظر: لسان العرب ١٠ / ٣٠٠ مادّة «فقر».

(٢) القُلامة: اسم ما قطع من طرف الظفر.
آنظر: لسان العرب ١١ / ٢٩١ مادّة «قلم».

(٣) سورة الروم ٣٠: ١٠.

(٤) وسَق: وسقه يَسِقُه وسقاً ووسوقاً؛ أي: ضَمَّهُ وجمعه وحمله، وآستوسقت الإبل؛ أي: اجتمعت، استوسقَ لك الأمر: أمكنَك، ومستوسقة: مجتمعة.
آنظر: تاج العروس ١٣ / ٤٨١ مادّة «وسق».

كفروا أنّما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾[١] ؟ !

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟ ! قد هتكت ستورهنّ ، وأبديت . . .

وكيف يُرتجىٰ مراقبة مَن لفظ فوه أكبادَ الأزكياء ، ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟ !

ثمّ تقول غير مستعظم ولا متأثّم : (لأهلّوا واستهلّوا فرحاً)[٢] ، تهتف بأشياخك ، زعمت أنك تناديهم ، فلَتَرِدَنَّ وشيكاً مَورِدَهُمْ ، وتودّنّ أنّك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت ، حسبك بالله حاكماً ، وبمحمّد ﷺ خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾[٣] وأيُّكُم ﴿ شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً ﴾[٤] .

أقول : ألا بحرمة الإنصاف والحقيقة قل لي : أتستطيع ريشة أعظم مصوّر وأبدع ممثّل أن يمثّل لك حال يزيد وشموخه بأنفه ، وزهوّه بعطفه ، وسروره وجذله باتّساق الأُمور وانتظام الملك ، ولذّة الفتح والظفر ، والتشفّي والانتقام ، بأحسن من ذلك التصوير والتمثيل ؟ !

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٧٨ .

(٢) راجع ما تقدّم في ص ٦٩ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٥٠ .

(٤) سورة مريم ١٩ : ٧٥ .

وهل في القدرة والإمكان لأحد أن يدمغ خصمه بتلك الكلمات وهي علىٰ الحال الذي عرفت ؟ !

ثمّ لم تقنع منه بذلك حتّىٰ أرادت أن تمثّل له وللحاضرين عنده ذلّة الباطل وعزّة الحقّ ، وعدم الاكتراث والمبالاة بالقوّة والسلطة ، والهيبة والرهبة .

أرادت أن تُعَرِّفَهُ خِسَّةَ قدره ، وضعة مقداره ، وشناعة فعله ، ولؤم فرعه وأصله ، وتعاليها عن حواره ، وترفّعها عن مخاطبته ، فقالت وتعاظمت بحقّ وآستطالت :

ولئن جرّت علَيَّ الدواهي مخاطبتك أنّي أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك ، وأستكبر توبيخك ، لكنّ العيون عبرىٰ ، والصدور حرّىٰ ، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء .

ثمّ أرادت أن تجسّم له عياناً مقام العزّة ، وموضع الصبر والجلد والثبات والسكينة . .

أرادت أن تعرّفَهُ والناسَ جميل النظر في العاقبة ، وأنّ الأُمور بعواقبها ، والأعمال بخواتمها ، وأنّ شرف الغاية ـ كما يقال ـ يبرّر الواسطة[1] . .

---

(١) أقول : نعم ، إنّ شرف الغاية يبرّر الواسطة ، ولكن لا يكون ذلك إلّا لمن عصمه الباري عزّ وجلّ عن كلّ خطأ وزلل ، فتقييم المعصوم لشرف الغاية ونوع الوسيلة يكون تقييماً إلٰهيّاً لا يستند إلىٰ الهوىٰ والرغبات الشخصية ، فكلّ الوسائل التي يتّبعها للوصول إلىٰ الغاية لا تخرج عن كونها وسائل شرعية .

أرادت أن تعرّفه شرف آبائها وأبنائها ، وأنّ القتل والشهادة ما زادهم إلّا فخاراً ، وما جلب لعدوّهم إلّا عاراً وناراً ، فقالت وما أبلغ ما قالت :

فكِد كيدك ، وأسعَ سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذِكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا تدرك أمدنا ، ولا ترحض عنك عارها ، وهل رأيك إلّا فند ، وأيّامك إلّا عدد ، وجمعك إلّا بدد ، يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله علىٰ الظالمين .

فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل[1] .

هذا قليل من كثيرٍ تلك الخطبة ، التي هي آية في البلاغة والفصاحة ، ومعجزة من معجزات البيان !

وهل يختلجك الشكّ والريب بأنّ كلّ فقرة منها كانت علىٰ يزيد أشدّ من ألف ضربة ؟ !

وهل تشكّ أنّ هذه الخطبة وأمثالها كانت هي الضربة القاضية علىٰ ملك يزيد ومعاوية ؟ !

وهل أبقت لهم من باقية ؟ !

ولعِلم المصنّف ﷺ بأنّ مقولة : « شرف الغاية يبرّر الواسطة » علىٰ إطلاقها غير صحيحة ؛ لتعذّر تشخيص الغاية الشريفة من غيرها ممّن هم دون مرتبة العصمة ، الّذين تتعدّد اجتهاداتهم وآراؤهم تبعاً لأهوائهم وتصوّراتهم في تقييم الغايات وتشخيص الوسائل الصحيحة للوصول إليها ؛ لذا اعترضها بقوله : « كما يقال » ؛ فلاحظ !

(١) أنظر : بلاغات النساء : ٧٠ ـ ٧٣ ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢ / ٧٤ ، الاحتجاج ٢ / ١٢٢ ـ ١٣٠ رقم ١٧٣ ، الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف : ٢١٥ ـ ٢١٨ ، بحار الأنوار ٤٥ / ١٣٤ .

وهل يبقىٰ لك شكٌّ بعدُ أنّ مواقف زينب وأُمّ كلثوم وفاطمة الصغرىٰ ورباب وسكينة، في الكوفة والشام، بل في كلّ موقف ومقام، كان لا يقصر ـ إنْ لم يتفوّق ـ علىٰ موقف حُماتهنّ وسُراتهنّ يوم الطفّ؟!

وهل تشكّ وترتاب في أنّ الحسين سلام الله عليه لو قُتل هو ووُلْدُهُ ولم يتعقّبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحدّيات لذهب قتله جُباراً[1]، ولم يطلب به أحد ثاراً، ولضاع دمه هدراً، ولم يكن قتله إلّا قتل عبدالله بن الزبير وأخيه مصعب وأمثالهما ممّن خمد ذكرهم وضاع وترهم؟!

نعم، لا يرتاب لبيب عارف بأسباب الثورات، وتكوين انقلابات الأُمم، وتهييج الرأي العامّ، أنّ أقوىٰ سبب لذلك هو الخطابة والسحر البياني الذي يؤثّر في العقول ويثير العواطف!

وإذا استحضرت واقعة الطفّ المفجعة وتوالبها[2]، تعلم حقّاً أنّه ما قلب الفكرة علىٰ بني سفيان، وآنقرضت دولة يزيد بأسرع زمان، إلّا من جرّاء تلك الخطب والمقالات التي لم يقدر أيّ رجل في تلك الأوقات الحرجة والأوضاع الشاذّة علىٰ القيام بأدنىٰ شيء منها، فقد تسلسلت الثورات والفتن علىٰ يزيد من بعد فاجعة الطفّ إلىٰ أن هلك.

---

(١) الجُبار: الهَدَرُ، ذهب دمه جُباراً؛ أي هدراً.
آنظر: لسان العرب ٢ / ١٦٨ مادّة «جبر».

(٢) التولب: ولَد الأتان من الوحش إذا استكمل الحول.
وهنا كناية عمّا أولدته واقعة الطفّ من الحروب والثورات التي اندلعت علىٰ بني أُميّة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.
آنظر: لسان العرب ٢ / ٤١ مادّة «تلب».

بل ما نهضت جمعية التوّابين ، وتلاهم قيام المختار لأخذ الثار[١] ، وتعقّبتها واقعة الحرّة[٢] ، التي هلك بعدها يزيد بأيّام قليلة ؛ ما كان كلّ ذلك إلّا من أثر تلك المواقف المشهودة لزينب وأخواتها .

فكان الحسين عليه‌السلام يعلم أنّ هذا عمل لا بُدّ منه ، وأنّه لا يقوم به إلّا تلك العقائل ، فوجب عليه ـ حتماً ـ أن يحملهنّ معه ، لا لأجل المظلومية بسبيهنّ فقط ، كما شرحناه في الجواب الأوّل[٣] ، بل لنظر

---

(١) راجع رسالة «أصدق الأخبار في قصّة الأخذ بالثار» للسيّد محسن الأمين العاملي ، تحقيق فارس حسون كريم ، والمنشورة علىٰ صفحات مجلّة «تراثنا» ، العددين ٦٦ ـ ٦٧ ، السنة السابعة عشرة / ربيع الآخر ـ رمضان ١٤٢٢ هـ .

(٢) هذه الواقعة هي عارٌ في جبين يزيد بن معاوية ، وجريمة أُخرىٰ تضاف إلىٰ جريمته الكبرىٰ التي ارتكبها بقتله الإمام الحسين عليه‌السلام .

في هذه الواقعة من المآسي والويلات تكاد السماوات يتفطّرن من هولها ، فقد استباح مسلم بن عقبة المرّي وجنوده وبأمر من يزيد مدينة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثلاثة أيّام ، فقتلوا الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال اللائذين بقبر سيّد المرسلين صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، حتّىٰ إنّه لم يبق بعدها بدريّ ، وآعتدوا علىٰ العذارىٰ من بنات المهاجرين والأنصار ، حتّىٰ ولدت الأبكار من غير زوج لا يُعرف مَن أولدهنّ ، وأجبرهم بعد ذلك علىٰ البيعة ليزيد علىٰ أنّهم خَوَلٌ وعبيد له ، إن شاء استرقّ وإن شاء أعتق ، فبايعوه علىٰ ذلك ، وفيهم جابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وغيرهم من بقيّة الصحابة .

ثمّ بعث مسلم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلىٰ يزيد ، فلمّا أُلقيت بين يديه جعل يتمثّل بقول ابن الزِّبَعْرىٰ يوم أُحد :

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسَلْ

آنظر : أنساب الأشراف ٥ / ٣٣٧ ـ ٣٥٥ ، الإمامة والسياسة ١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٥ ، البدء والتاريخ ٢ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، العقد الفريد ٣ / ٣٧٢ ـ ٣٧٤ ، تاريخ الطبري ٥ / ٦٢٣ ، البداية والنهاية ٨ / ١٧٧ ـ ١٨٠ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٧٦ ، الفخري ـ لابن الطقطقي ـ : ١١٩ ، الإتحاف بحبّ الأشراف : ٦٦ .

(٣) آنظر : الجواب الأوّل في الصفحة ٣١ .

سياسيّ وفكرٍ عميق ، وهو تكميل الغرض وبلوغ الغاية من قلب الدولة علىٰ يزيد ، والمبادرة إلىٰ القضاء عليها قبل أن تقضي علىٰ الإسلام وتعود الناس إلىٰ جاهليّتها الأُولىٰ !

فقد أصبح الدين علىٰ عهد يزيد هو دين القرود والفهود ، دين الخمور والفجور ، والضرب بالعود والطنبور ، وأوشك أن يذهب دين محمّد ﷺ أدراج الرياح ، وتكون نبوّته كنبوّة مسيلمة[1] وسجاح[2] ، ونظرائهم[3] .

---

(١) هو : مُسيلمة بن حبيب من بني تميم ، متنبّئ ، كان يسجع لقومه السجعات مضاهاةً للقرآن ، ووضع عنهم الصلاة ، وأحلّ لهم الخمر والزنا !

وُلد باليمامة قبل ولادة والد رسول الله ﷺ ، كان من المعمّرين ، تلقّب بالجاهلية بـ « الرحمٰن » ، وعرف بـ « رحمٰن اليمامة » ، قالوا في وصفه : كان رُوَيْجِلاً ، أُصيفر ، أُخينس ، كان اسمه مَسْلَمة ، وسمّاه المسلمون مُسيلمة تصغيراً له ، قُتل في غزوة اليمامة عام ١٢ هـ ، وكان عمره آنذاك ١٥٠ سنة .

أنظر : تاريخ الطبري ٢ / ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ـ : ٨٩ ، شذرات الذهب ١ / ٢٣ .

(٢) هي : سجاح بنت الحارث بن سويد ، وقيل : بنت غطفان التغلبية التميمية ، تكنّىٰ أُمّ صادر ، كانت رفيعة الشأن في قومها ، شاعرة ، أديبة ، عارفة بالأخبار ، لها علم بالكتاب أخذته عن نصارىٰ تغلب ، وكانت متكهّنة قبل ادّعائها النبوّة ، وهي مع ادّعائها النبوّة فقد كذّبت بنبوّة مسيلمة الكذّاب ، ثمّ آمنت به ، فتزوّجها من غير صداق ! ثمّ أصدقها بأن وضع عن قومها صلاتَي الفجر والعشاء الآخرة ! !

وقيل : إنّها عادت إلىٰ الإسلام بعد مقتل مسيلمة ، فأسلمت وهاجرت إلىٰ البصرة ، وتوفّيت بها في زمان معاوية نحو سنة ٥٥ هـ .

أنظر : مروج الذهب ٢ / ٣٠٣ ، الإصابة ٧ / ٧٢٣ رقم ١١٣٦١ ، البداية والنهاية ٦ / ٢٣٩ ـ ٢٤١ حوادث سنة ١١ هـ ، تاريخ الخميس ٢ / ١٥٩ ، لسان العرب ٦ / ١٧٤ مادّة « سجح » ، الأعلام ٣ / ٧٨ .

(٣) مثل : طُليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر الأسدي ، شهد معركة

إذاً ، فجزىٰ الله تلك الحرائر بحسن صنيعهنّ عن الإسلام أحسن الجزاء ، وكلّ مسلم مدين بالشكر لهنّ وللحسين عليه‌السلام إذا كان مسلماً حقّاً ويرىٰ للإسلام حقّاً عليه .

وعلىٰ هذا ، فيحقّ للجنس اللطيف ـ كما يسمّونه اليوم ـ أن يفخر علىٰ الجنس الآخر بوجود مثل تلك العليّات العلويّات فيه ، وقد تجلّىٰ واتّضح أنّ هذا الجنس الشريف قد يقوم بأعمال كبيرة يعجز عنها الجنس الآخر ولو بذل كلّ ما في وسعه ، وأنّ له التأثير الكبير في قلب الدول والممالك ، وتحوير الأفكار ، وإثارة الرأي العامّ .

وهذه نكتة واحدة من نكات السياسة الحسينية ، وغور نظره في الشؤون الدولية لو قطعنا النظر عن الوحي والإمامة ، وجعلناه كواحد من الناس قد ثار علىٰ عدوّ له متغلّب عليه ، يريد الانتقام منه ، يريد أن ينقله من عرشه إلىٰ نعشه ، ومن قصره إلىٰ قبره ، ومن ملكه إلىٰ هلكه ، ويريد أن يقضي علىٰ دولة أبيه ودولته ، ولا يدع حظّاً في الملك لولده

الخندق مع الأحزاب ، وأسلم سنة ٩ هـ ، ثمّ ارتدّ وادّعىٰ النبوّة في عهد أبي بكر ، ثمّ كانت له وقائع كثيرة مع المسلمين ، ثمّ خذله الله وهرب حتّىٰ لحق بأعمال دمشق ، ونزل علىٰ آل جَفْنَة ، ثمّ أسلم وقدم مكّة معتمراً ، ثمّ خرج إلىٰ الشام مجاهداً ، وشهد اليرموك ، وشهد بعض حروب الفرس ، وقُتل بنهاوند سنة ٢١ هـ .

انظر : الاستيعاب ٢ / ٧٧٣ رقم ٧٧٣ ، أُسد الغابة ٢ / ٤٧٧ رقم ٢٦٣٩ ، تاريخ دمشق ٢٥ / ١٤٩ ـ ١٧٢ رقم ٢٩٩٢ ، الإصابة ٣ / ٥٤٢ .

● والأسود العنسي ، عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي ، قيل : إنّه كان أسود الوجه فسمّي الأسود للونه ، متنبّئ مشعوذ ، من أهل اليمن ، أسلم لمّا أسلمت اليمن ، وارتدّ في أيام النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فكان أوّل مرتدّ في الإسلام ، وادّعىٰ النبوّة ، قتل قبل وفاة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بخمسة أيّام ، وكان ظهوره في سنة ١٠ هـ .

انظر : الكامل في التاريخ ٢ / ٢٠١ ، البداية والنهاية ٦ / ٢٢٨ .

وذرّيّته .

ومن تصفّح سيرة معاوية ، وجهوده العظيمة ، وتدابيره العميقة مدّة عشرين سنة ، يعرف عظيم مساعيه ، وكم كان حريصاً علىٰ توطيد دعائم الملك ليزيد ، وحبسه أبداً عليه وعلىٰ ولده ، حتّىٰ دسّ السمّ إلىٰ الحسن عليه السلام وقتله مقدّمة لاستخلاف يزيد ، وكم استعمل العامِلَين القويّين السيف والدينار ، والرغبة والرهبة ، في تمهيد عرش يزيد وإعطائه صولجان الملك وتاج الخلافة الذي انتزعه من بني هاشم ، وأعمل التدابير المبرمة في أن لا يعود إليهم أبداً .

ولكنّ الحسين وعلىٰ ذكره آلاف التحيّة والسلام بتفاديه وتضحيته ، وتدابيره الفلسفية ، وإحاطته بدقائق السياسة ، ثَلَّ[1] ذلك العرش ، وهدم ذلك البنيان الذي بناه معاوية في عشرين سنة ، هدمه في بضعة أيّام ، وما أثمر ذلك الغرس الذي غرسه معاوية ليزيد إلّا العار والشنار ، والخزي المؤبّد ، واللعنة الدائمة ، وصار معاوية المثل الأعلىٰ للخداع والمكر ، والظلم والجتور ، والرمز لكلّ رذيلة ، ومعاداة كلّ فضيلة .

كلّ ذلك بفضل السياسة الحسينية وعظيم تضحيته ، وصار هو وأهل بيته ـ إلىٰ الأبد ـ المثل الأعلىٰ لكلّ رحمة ونعمة ، وبركة وسلام ، فما أكبره وما أجلّه !

وقد بقيت هناك دقائق وأسرار لم يتّسع الوقت لنظمها في هذا

(١) ثُلَّ عَرْشُ فلان ثَلّاً : هُدِم وزالَ أمرُ قومه .
أنظر : لسان العرب ٢ / ١٢٣ مادّة « ثلل » .

السلك ، ولقد كنت أتمنّىٰ منذ عشرين سنة أن أنتهز من عمري فرصة ، وآخذ من مزعجات أيّامي مهلة ، لأكتب كتاباً في دقائق السياسة الحسينية ، وأسرار الشهادة ، بما لم يكتبه كاتب ، ولا حامَ حول شيء منه مؤلّف ، ولا تفوّه وألَمّ خطيبٌ ببعضه ، ولكنّ حوادث الأيّام وتقلّبات الصروف لا تزال تدفعني من محنة إلىٰ محنة ، ومن كارثة إلىٰ أُخرىٰ .

كأُرجوحة بين الخَصاصة والغنىٰ   ومنزلة بين الشقاوة والعمىٰ[1]

حتّىٰ أصبحت كالآيس من الحصول علىٰ تلك الأمنيّة ، ولا يأس من روح الله .

وهذا الذي ذكرنا هنا طرف من سياسة الحسين عليه السلام ، وناحية من نواحيها ، ذكرنا منه ما يتعلّق به الغرض في الجواب ، ودفع الشكّ والارتياب .

وفي الختام ، أرجع فأقول : ما أدري ، هل اندفع بهذه الوجوه الأربعة أو الخمسة اعتراض الناقد أو المشكّك علىٰ الحسين عليه السلام في حمل العيال ؟ !

وهل انكشف الستار عن تلك الأسرار[2] ؟ !

---

(١) البيت للشريف الرضي ، وروايته في الديوان :

بأُرجوحة بين الخصاصة والغنىٰ   ومنزلة بين الشقاوة والنُّعمىٰ

أنظر : الديوان ٢ / ٣٥٢ .

(٢) ويحتمل البعض أنّ وجه حمل الحسين عليه السلام للعيال معه أنّه كان يخشىٰ عليهنّ الأسر والسبي لو تركهنّ في بيوتهنّ بالمدينة ؛ لأنّ بني أُميّة كانوا يتوسّلون إلىٰ أخذ البيعة منه بكلّ وسيلة ، وحينئذ فإمّا أن يبايع أو يتركهنّ في الأسر ؛ فإن صحّ ، فهو وجه خامس أو سادس . منه قدس سره .

فإنْ كان كلّ ذلك البيان لم يقنعه، ولم يدفع شكّه وريبه، فأمره إلىٰ الله، ولا أحسبه إلّا ممّن قال فيه سبحانه: ﴿**وجعلنا علىٰ قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإنْ يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها**﴾[1].

والله وليّ التوفيق لنا ولهم،

وبه المستعان.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٢٥.

المَلاحِق

١ ـ سؤال من أمريكا ـ مشيغن
٢ ـ معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله وسلم : حسين منّي وأنا من حسين
٣ ـ حسين كتاب الله التكويني
٤ ـ موقف الحسين عليه السلام وأصحابه يوم الطفّ
٥ ـ هل البكاء علىٰ الحسين عليه السلام إغراء للشيعة ؟
٦ ـ التضحية في ضاحية الطفّ
٧ ـ ساعة الوداع لسيّد الشهداء عليه السلام
٨ ـ هل تكلّم رأس الحسين عليه السلام ؟
٩ ـ سؤال عن تضحية أصحاب الحسين عليه السلام

(١)

ربيع ٢ سنة ١٣٥٨ هـ

سؤال من أمريكا ـ مشيغن

سيّدي الحجّة آل كاشف الغطاء..

أُتيح لي أن أطّلع علىٰ كتاب «السياسة الحسينية»، لجامعه ولدكم المحروس عبد الحليم، وما دار به من بحوث حول الحسين وسياسة الحسين عليه السلام..

فخرجت من هذه المطالعة علىٰ وشك الاعتقاد الراسخ من أنّ الحسين لم يُقتل إلّا لأجل شيء معنويّ، وهذا الشيء المعنوي لا يزال مجهولاً عند الباحثين عن تأريخ الحرب الأُموية، وعند أتباع الحسين عليه السلام الّذين يتحرّون جميع الأساليب المؤثّرة، ويزيدونها علىٰ النواجيد[1] الحسينية إثارة للذكريات الدفينة[2] التي تمجّد موقف الحسين عليه السلام، وتخذل موقف يزيد والأُمويّين الّذين عاصروه ومشوا علىٰ مبادئه وسننه الظالمة.

إنّ الحسين لم يُقتل لأجل الدين الإسلامي كما تقول الشيعة بذلك،

---

(١) النَّجدة: الثِّقلُ والشِّدّة، والفزع والهول، والمنجود: المكروب.
أنظر: لسان العرب ١٤/٤٩ مادّة «نجد».

(٢) أقول كما قال الشاعر:
كذب الموت فالحسين مخلّدُ كلّما مرّ الزمان ذِكره يتجدّدُ

ولم يُستشهَد طلباً للمُلك والسلطان، بل قُتل عليه السلام محافظاً علىٰ معنويّاته الهاشميّة التي هي علّة وجود الأُمّة العربيّة وبعثها من جديد، متمتّعة بجميع أساليب الثقافة ووسائل النجاح الاقتصادي المادّي.

وهذه القَتْلَةُ التي يقولون عنها: إنّها كانت في سبيل الله، وسبيل المحافظة علىٰ معنويّة آل محمّد في سبيل الله أيضاً، هي الشيء المعنوي الذي لا يزال مخبّأً عن أعين الباحثين.

ونحن إذا قلنا: إنّ الحسين عليه السلام مات دفاعاً عن شرف الدين؛ نكون قد أسأنا إلىٰ الدين الإسلامي نفسه، الذي ليس يقوم علىٰ قتْلة الحسين عليه السلام أو استشهاد أيّ نبيّ من الأنبياء، وليس هو صورة مادّية يملكها فرد من البشر لتموت بموته وتحيا بحياته.

والأفضل لكلّ مقتصد، أن يجعل هذه القضيّة قضيّة عائليّة تتفاوت عن حدّ وقوعها بين سموّ مبادئ الحسين وبين انحطاط مبادئ يزيد.

وقد أدرك ولدكم ـ حرسه الله ـ في جوابه علىٰ كتاب الشيخ عبد المهدي شيئاً من هذا؛ إذ قال: إنّ الذي عرّض الحسين للقتل هو تمنّعه عن المبايعة ليزيد، وفي عدم القيام بهذه المبايعة يتعرّض الحسين لأن يقتل بسيوف الأُمويّين، حتّىٰ ولو كان في عقر داره دون أن يضطرّ إلىٰ الخروج لمحاربة يزيد وأتباعه، وأن يعرّض نساءه وأطفاله للهتك الذي هو صورة القبح عند طبقات الأشراف الّذين منهم الحسين، كما زعم غير واحد في افترائه علىٰ الحسين وعائلة الحسين.

إنّ هذا الافتراض ممكن الوقوع أكثر من غيره، ومبايعة الحسن

لمعاوية التي ظلّت أسبابها مغمضة في بحثكم[١]، هي التي أجّلت وقوع الحرب الأُموية إلىٰ ما بعد وفاة معاوية، ويظهر أنّ الحسن بتعهّده لمعاوية أنّه لا يرىٰ من الحسين شيئاً ـ كما جاء برسالة سماحتكم ـ وقف وقفة المشفق الذي لا يريد أن يُفجَع بأخيه وهو حيّ، أراد بمبايعته أن يحجب دماء الأبرياء التي أباحها يزيد في تعنّته وطغيه وفساده وآعتدائه علىٰ أخيه الحسين.

ولكنّ السياسة لعبت دورها يومذاك؛ إذ مات معاوية الذي كان عنده مخافة من الله أكثر من ولده يزيد[٢]، وإذا توفّي الحسن ـ الذي يعدّ بحقّ نبراس السياسة الهاشمية المؤدّية إلىٰ إعمال السلام القومي ـ الذي وقف حائلاً في حياته دون وقوع حرب طاحنة كالحرب الأُموي، فيما لو ضمّ صوته إلىٰ صوت أخيه الحسين في زمن معاوية، الذي تعود مبايعته لهذا السبب الوفاقي ـ علىٰ ما أظنّ ـ لا لأسباب الخوف والوجل الذي عزاه كثير من ضعفاء العقول والنوايا[٣] السيّئة للحسن.

أمّا قضيّة العادة العربيّة التي قلتم ـ سماحتكم ـ: إنّها دفعت بالحسين أن يصحب أولاده ونساءه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف؛ فهذه

(١) للاطّلاع علىٰ تفاصيل صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، والظروف التي أحاطت بالإمام عليه السلام ودفعته إلىٰ هذا الصلح، راجع كتاب «صلح الحسن» للشيخ راضي آل ياسين قدس سره، ففيه بيان ما كان بين الإمام وآبن أبي سفيان.

(٢) ليس عنده ولا عند ولده يزيد شيء من مخافة الله، ولكنّ معاوية عنده سياسة وتدبّر دنيوي ويزيد ليس عنده دين ولا سياسة. كاشف الغطاء.

(٣) النيّة: عمل القلب، وهي مؤنّثة لا غير، وتجمع جمع مؤنّث سالم؛ لذا يكون جمعها بـ «النيّات» لا «النوايا» التي هي خطأ شائع.
آنظر: لسان العرب ١٤/ ٣٤٢ مادّة «نوي».

تخضع ـ على خروجها عن قلم سماحتكم ـ لضروب النقد والاعتراض ؛ إذ كان الدين الإسلامي ، أو التعاليم الإسلامية ـ بتعبير أصحّ ـ حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلّا من وراء الحجاب ، وأرجعتها إلىٰ بيتها حيث تقوم بتربية وتهذيب أولادها وتدبير شؤون منزلها ، الذي يعدّ نصف الحياة الزوجية ـ إذا لم تكن كلّها ـ في نظر قانون الزواج المدني والديني ، فكيف بالحسين خرق حجاب هذا النظام وأصحب عائلته وتابعيه معه جرياً علىٰ العادة العربية المعروفة قبل ظهور الإسلام وبعده ؟ !

وتعلمون أنّ العادة التقليدية غير حكم الدين التشريعي ، فحكم الدين أسمىٰ مكانة في نفس الحسين من عاطفة العادة ، فهل هناك ضرورة حيويّة دفعت بالحسين أن لا يكترث بتعاليم الدين ، ويتّبع ما أوحته عاطفة العادة التي تعدّ ملغاة بحكم هذه التعاليم ؟ !

هذا ما نريد الإجابة عليه مفصّلاً .

وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصي ، وهو : إنّ الخمسة أثواب التي أعطاها الحسين إلىٰ محمّد بن بشير الحضرمي ـ (٢٣ ـ ٢٤)[١] السياسة الحسينية ـ كان يزيد ثمن الواحد منها علىٰ المئة ليرة عثمانية ، لا يتوافق اقتناؤها بهذا الثمن الباهظ من قبل الحسين مع دواعي الزهد التي كانت متجسّمة في أبيه وجدّه سيّد الرسل ؛ إذ عرفنا عن طرق الأحاديث المرويّة أنّ عليّاً والد الحسين كان يرتدي الصوف علىٰ بدنه داخلاً ويلبس الأطمار الرخيصة خارجاً ، دلالةً علىٰ زهده وورعه وتقواه ، أو تقليداً للنبيّ الذي هو المثل الأعلىٰ للأُمّة الإسلامية ، والذي جعل بهذه الارتداء أُمثولة

(١) أنظر : ص ٤٣ ـ ٤٤ .

عزاء للفقير الذي لا يستطيع أن يلبس ثوباً يساوي ثمنه مئة ليرة عثمانية ونحوها، كما استطاع الحسين أن يلبس[١] مثل هذا الثوب ويهب خمسة علىٰ غراره إلىٰ أحد أتباعه من الفقراء ؟ !

إنّ هذه الرواية ـ علىٰ ما فيها من استقراء في النقل ـ تصوّر لنا الحسين مسرفاً، طامعاً في خير الدنيا أكثر من خير الآخرة، بينما لو رجعنا إلىٰ استقصاء ورع الحسين وزهده وتقواه لوجدنا ذلك أنّه لا يتوافق ورغبة الحسين في تضميد عواطف الفقراء المجروحة، والترفيه علىٰ كلّ بائس محتاج !

ولو أنّ راوياً عزا ذلك إلىٰ الحسن، الذي كان له ميل خاصّ وصفة خاصّة بهذا الثراء الدنيوي لأمكننا أن نصدّق ذلك ؛ بدليل أنّ الحسن نشأ علىٰ الأُبّهة والمجد في زمن جدّه وأبيه، وأمّا الحسين فمن المعروف عنه أنّه كان لا يعرف قيمة الدنيا، ولو عرف لها قيمة لبايع يزيد، وبذلك كان أضاف إلىٰ ثرائه ثراء آخر يدفعه له يزيد بدلاً عن تلك المبايعة التي كانت منعت هذه الحرب وذلك الهتك ؛ وحوّلت معنويّة الحسين من رجل شريف نزيه حافظ علىٰ مبدأ أجداده ومعنويّة هذا المبدأ إلىٰ رجل مادي عبث بكلّ شيء، وخضع لكلّ شيء بتأثير المادّة[٢].

---

(١) لم يلبس الحسين تلك الثياب، وإنّما كان يقتنيها ليعطيها. كاشف الغطاء.

(٢) **أقول** : إنّ هذه الفقرة تتضمّن من التناقضات الشيء الكثير التي تستوقف أي قارئ، منها :

● قوله : «إنّ الحسن نشأ علىٰ الأُبّهة والمجد في زمن جدّه وأبيه».

وهذا خلاف العقل والمنطق ؛ إذ كيف عاش الحسن بهذا الوصف والحسين علىٰ العكس منه وقد ترعرعا سويةً في كنف أبيهما وجدّهما وتعلّما منهما الزهد ☜

وروايـة أُخـرىٰ لا تتوافـق وصـحّـة النـقـل ـ وهـي واردة بـجـواب سـماحـتـكم ـ، مـن أنّ زيـد بـن أرقـم قـال ليـزيد يـوم كـان يـضـرب رأس الحسـين بعوده : إرفع عودك عن هاتين الشـفتين ! فوالله طالما رأيت رسـول الله ﷺ يقـبّـلهما . .

إذ إنّه من المعروف أنّ رسـول الله ﷺ كان يـقبّل الحسـين فـي نحره علىٰ أعتبار أنّه سيموت مقتولاً ، ويقبّل الحسـن في فمه علىٰ اعتبار أنّه سيموت مسـموماً ، فكيف تناقض المعنىٰ الذي وقع فعلاً كما أشـار النبيّ ﷺ ؟ !

وكيف انتقل تقبيل فم الحسـن إلىٰ فم الحسـين الذي مات مـنحوراً علىٰ قفاه ، ولم ينتقل تقبيل نحر الحسين إلىٰ نـحر الحسـن الذي مـات

↩ والإيثار ؟ !

فـهل كـان رسـول الله ﷺ أو أمـير المـؤمنين عليه السلام يـميّزان بـين الحسـن والحسـين ؟ ! ألم تنزل آية الإطعام فيهم جميعاً ؟ ! أم هل كان الحسـن ابـن حـرّةٍ والحسـين ابن أَمة فقيرة ؟ !

كل هذه الاسـتفهامات تلجئنا إلىٰ اليقين القطعي أنّ مثل هذه المقولات وغيرها هي محض افتراءات وأكاذيب وضعها رواة بني أُميّة للنيل من منزلة الإمام الحسـن المجتبىٰ عليه السلام ، وهيهات !

● وقوله : «وأمّا الحسـين فمن المعروف عنه أنّه كان لا يعرف قيمة الدنيا» .

وهذا ـ أيضاً ـ خلاف منهج الإمام الحسين عليه السلام ؛ لأنّ قيمة الدنيا عـنـده عليه السلام معنوية أكثر ممّا هي مادّية ، فهو لا ينظر إلىٰ الدنيا علىٰ أنّها دار بقاء ومتاع ونزوات وشهوات وملذّات ، وإنّما ينظر إليها من منطلق قوله تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجـنّ والإنس إلّا ليعبدون** ﴾ ؛ ولذا فالدنيا عند الحسـين عليه السلام دار عبادة وطاعة للباري عزّ وجلّ ، والدين هو الوسيلة التي يحافظ بها الإنسان علىٰ الدنيا ، فـإذا ذهب الديـن ذهبت الدنيا ، وخوفاً علىٰ الدين من الاندراس وعلىٰ الدنـيا مـن الخـراب وآنـتشار الفسـاد ـ بسبب ما يفعله بنو أُميّة ـ ضحّىٰ الإمام عليه السلام بنفسـه وأهل بيته .

مسموماً في فمه[1]؟!

وفي الاستعراض الديني لأهل البيت نجد اعتراضاً علىٰ الحديث الذي ورد بلسان النبيّ ﷺ، قال مخاطباً سلمان الفارسي: «نحن أسرار الله المودعة في هياكل البشرية.

يا سلمان! أنزلونا عن الربوبيّة ثمّ قولوا فينا ما استطعتم، فإنّ البحر لا ينزف، وسرّ الغيب لا يعرف، وكلمة الله لا توصف، ومن قال هناك: لِمَ؟! وممَّ؟! وبمَ؟! فقد كفر».

---

(١) **أقول**: لو تجشّم الكاتب قليلاً من عناء البحث في بطون الكتب التي روت فضائل الأئمّة عليهم السلام، لَما حار في أمر تقبيل الرسول ﷺ للحسن والحسين عليهما السلام.

فقد روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده ٤ / ١٧٢، عن يعلىٰ العامري، أنّه خرج مع رسول الله ﷺ إلىٰ طعام دُعوا له، قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه، قال: فطفق الصبي ها هنا مرّة وها هنا مرّة، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتّىٰ أخذه، قال: فوضع إحدىٰ يديه تحت قفاه والأُخرىٰ تحت ذقنه فوضع فاه علىٰ فيه فقبّله، وقال: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط.

وهذا الحديث وما سبقه ممّا تقدّم ـ عن زيد بن أرقم، في الصفحة ٥١، من تقبيل رسول الله ﷺ شفتَي الإمام الحسين عليه السلام، وما تقدّم في الصفحة ٦٧ الهامش رقم ٢، عن أبي برزة الأسلمي، من ترشيف رسول الله ﷺ شفتَي الحسن والحسين، كُلّها تفيد أنّ النبيّ ﷺ كان يقبّل الحسنين من شفتيهما.

نعم، اشتُهر عنه ﷺ بأنّه كان يكثر من تقبيل الحسن عليه السلام من فمه وتقبيل الحسين عليه السلام من نحره؛ لعِلمه ﷺ بكيفية استشهادهما عليهما السلام، إلّا هذا لا يدلّ علىٰ التخصيص.

أنظر: فضائل الصحابة ـ لأحمد بن حنبل ـ ٢ / ٩٦٨ رقم ١٣٦١، تاريخ بغداد ٢ / ٢٠٤، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٧٧ ـ ١٧٨، شرح الأخبار ٣ / ١١٢ ح ١٠٤٩.

إذ إنّ من يتأمّل المعاني الاستهلاليّة من الحديث، يجد أنّ منها ما يعدّ استكبازاً في الأرض، وهو يخالف بمنطوقه إرادة الله التي جاءت في القرآن، فمحت آية الاستكبار الخليقة بالمستضعفين من الناس.

ويجد أنّ كلمة «أسرار الله المودعة» التي عمّت جميع «هياكل البشريّة» تتعرّض للشرّ حيناً، وللخير حيناً آخر، وتنقل من الزهد والتقوىٰ دوراً، وإلىٰ الفساد والإثم والفوضىٰ دوراً آخر، حيث كانت هياكل البشر الطاهرة فيها.

فهل كان الرسول يعني أنّه هو وذرّيّته سرّ الله المودع في هياكل البشرية الطاهرة فقط؟! أو في جميع الهياكل؟! سواء كانت طاهرة أو خبيثة، مجرمة أو مصلحة، مدنّسة أو غير مدنّسة؟!

هذا سؤال نطرحه أمام سماحتكم من الشطر الأوّل من الحديث.

وأمّا الشطر الآخر، فيه: «ومن قال: لِمَ؟! وممّ؟! وبِمَ؟! فقد كفر»، فيكفينا أن نقول: إنّ فيه حَجْراً لعقل الإسلام الذي خُلق حرّاً طليقاً بحكم التشريع الإسلامي!

ونتساءل كيف أباح النبيّ محمّد ﷺ لنا إدارك الله عن طريق العقل بعد التفكير والتكييف والمقارنة والمشابهة والظنّ والشكّ والريبة وما أشبه ذلك، ثمّ تكون هذه الأشياء كلّها شرعية بنظر القانون الإسلامي، ولم يبح لنا إدارك كنه «أسرار الله المودعة، وسرّ الله الذي لا يعرف، وكلمة الله التي لا توصف» المتجسّمة في شخصه وشخص ذرّيّته من بعده؟!

إنّ هذا المنع المجرّد عن العقل والرويّة يعرّض الرسول ﷺ ـ إذا

كان صادراً عنه ـ إلىٰ عدّة انتقادات عقليّة، أهمّها: إنّه أباح للعقل أن يدرك الله تعالىٰ عن طريق الظنّ والتفكير الذي حرّمه لإدارك شخصه، وبذلك جعل نفسه فوق الله تعالىٰ، وإنْ كانت هذه النفس هي خليقة الله والخاضعة لأمر الله!

هذا، فضلاً عن أنّ هذا الادّعاء المتجسّم في كلمة «سرّ الغيب الذي لا يعرف، وكلمة الله التي لا توصف» يجعل للشكوك والأوهام سبيلاً للوقوف حائلاً بين حكم العقل وعاطفة الاعتقاد، ولماذا لا يُعرف رسول الله الذي هو كلمة الله، وله أعمال وأقوال تدلّ علىٰ شخصه وتنمّ عن سجاياه وأخلاقه؟!

ومتىٰ كانت أعمال الرجل وأقواله وتصرّفاته الدينيّة والاجتماعية بين أيدينا، يمكننا أن نحكم علىٰ شخصيّته من أنّها شخصية صالحة إذا كانت أعماله وأقواله توافق الصلاح، وأن نحكم علىٰ هذه الشخصية من أنّها شخصية مجرمة فاسدة فيما إذا كانت أعماله وأقواله تأتي الفساد، وترتكب الإجرام والفوضىٰ الاجتماعية!

لا أعتقد أنّ هذا القول يصدر عن نبيٍّ ـ كمحمّد ﷺ ـ كان متواضعاً جدّاً، وهو كإنسان بسيط يمشي في الأسواق، ويأكل ويشرب، فكيف به كنبيّ يقول مثل هذا القول الذي هو من صفات الإلٰهيّة؟!

بل أعتقد أنّ هذا الحديث من جملة الأحاديث التي دسّتها اليهود دسّاً في كتب الإسلام انتقاصاً من قيمة الدعوة المحمّدية التي هي أسمىٰ من كلّ شيء ظهر علىٰ وجه الأرض.

من مدرسة كاشف الغطاء الكبرىٰ
في النجف الأشرف
٢٧ ربيع ٢ سنة ١٣٥٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمجد

إلىٰ الحبر الفاضل ، بل الإنسان الكامل ، وما أعزّ الكمال في الإنسان !

كان قد وردني منك كتاب فيه شيء من الإطناب ، ذكرت فيه بعض الملاحظات علىٰ بعض مندرجات «السياسة الحسينية» ، ووعدتك أن أُجيبك ـ إن لم يكن عن كلّها فعن بعضها علىٰ الأقلّ ـ في كتاب أرجو أن يكون قد وصلك في البريد مع «كتاب أصل الشيعة» ، هديّة للسيّد فائز حسين ، أمين النهضة العربية الهاشميّة ، حرسه الله وإيّاك .

تقول ـ أيّدك الله ـ في كتابك : «ونحن إذا قلنا : إنّ الحسين عليه‌السلام مات دفاعاً عن شرف الدين ، نكون قد أسأنا إلىٰ الدين الإسلامي . . .» إلىٰ آخر ما أبديت في هذا الموضوع ، وكأنّه غاب عنك أنّنا حيث نقول : مات أو قتل دفاعاً عن الدين ؛ لا نريد أنّ الدين الإسلامي يموت بموته ويحيا بحياته ، بل نريد العكس ، يعني أنّ الدين يحيا بموته ويموت باستبقاء حياته !

وهذه حال جميع من قتل في سبيل الله ، الّذين يقول الله جلّ شأنه

عنه : ﴿ **ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم** ﴾[١]، مثل : حمزة ، وجعفر ، وعبيدة بن الحارث ، وسعد بن الربيع[٢]، وأمثالهم ، ممّن بذلوا حياتهم في الدنيا لحياة الدين ، فوجدوا خيراً من تلك الحياة عند الله تعالىٰ ؛ فهم عند الله أحياء غير أموات وإن كانوا بالنظر إلىٰ الدنيا أمواتاً غير أحياء .

ولا يلزم من هذا أن يكون الدين الإسلامي صورة مادّية يملكها فرد من البشر كما تخيّلت .

ضرورة أنّ الدين هو عبارة عن تلك الأحكام والقوانين التي جاء بها الرسول الأمين من ربّ العالمين ، وحياتها وموتها بالعمل بها وعدم العمل بها .

ولمّا سلك يزيد في خلافته مسلكاً يوجب إبطال العمل بشرائع الإسلام ، حيث صار يجاهر بشرب الخمور وارتكاب الفجور وترك الصوم والصلاة ، والناس يتّبعونه طبعاً ؛ لأنّ «الناس علىٰ دين ملوكهم» كما قيل[٣]، وكأنّه بهذا يريد القضاء علىٰ الإسلام وموته ؛ لذلك ضحّىٰ الحسين عليه السلام بحياته وحياة خيرة أهل بيته وأصحابه ، إنكاراً علىٰ يزيد ، وإبطالاً لمساعيه ، وإحياءً للدين ، ولحمل الناس علىٰ العمل بشرائعه ، كما

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٦٩ .

(٢) سعد بن الربيع الخزرجي ، أحد نقباء الأنصار من شهداء أُحد ؛ انظر ترجمته في تنقيح المقال ج ٢ ص ١٣ ط النجف . القاضي الطباطبائي .

(٣) انظر : فتح الباري ٧ / ١١٤ ، تذكرة الموضوعات ـ للفتني ـ : ١٨٣ ، وصول الأخيار إلىٰ أُصول الأخبار : ٣٠ ، كشف الغمّة ٢ / ٢٣٠ ، سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٠٧ رقم ٣٢٨ .

قال سلام الله عليه، أو قيل عنه:

إن كان دينُ محمَد لم يستقم إلّا بقتلي يا سيوف خذيني[1]

فحقّاً أنّ الحسين ـ سلام الله عليه ـ ما بذل نفسه إلّا دفاعاً عن شرف الدين وتفادياً للمبدأ المقدّس، ولا نكون بهذا قد أسأنا إلىٰ الدين، بل أحسنّا إليه حيث جعلناه فوق نفس الإمام المعصوم، وأنّه يفدىٰ بأعزّ النفوس.

ومن الغريب قولك ـ حرسك الله ـ علىٰ قولنا: «أنّ العادة العربية دفعت بالحسين عليه السلام أن يصحب أولاده ونساءه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف»، فقلتم: إنّ التعاليم الإسلامية حرمت المرأة [من] مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلّا من وراء حجاب!

أليس من الغريب أن تقول ـ وأنت بهذه الثقافة ـ: إنّ الدين الإسلامي حرم المرأة من مخالطة الرجال، فتجعل ذلك وصمة شنعاء ولطخة سوداء في جبين الدين الإسلامي؟!

كيف يقال هذا وهذه الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت مشرّع الدين الإسلامي، خطبت في المسجد النبويّ في حشد المهاجرين والأنصار تلك الخطبة البليغة الغرّاء التي تستغرق ما يقرب من ساعة،

---

(١) البيت للشيخ محسن أبو الحَبّ، كما جاء في تراث كربلاء: ٨٦.

والشيخ أبو الحَبّ خطيب بارع، وشاعر واسع الآفاق خصب الخيال، ولد سنة ١٢٣٥ هـ، ونشأ بعناية أبيه وتربيته وتحدّر من أُسرة عربية تعرف بـ (آل أبي الحَبّ)، توفّي ليلة الاثنين ٢٠ ذي القعدة عام ١٣٠٥ هـ، ودفن في الروضة الحسينية المقدّسة إلىٰ جوار مرقد السيّد إبراهيم المجاب.

أنظر: أدب الطفّ ٨/ ٥٤ ـ ٥٧.

وكلّهم يسمعون ويشهدون ؟!(١) .

وهذه عائشة ما زالت مدّة عمرها تخطب(٢)، وتحدّث الرجال بالأحاديث النبويّة ، وإذا نظرت إلىٰ كتب صحاح إخواننا السُنّيّين تجد الربع أو الثلث تقريباً ينتهي سنده إلىٰ عائشة ، حتّىٰ نسبوا إلىٰ النبيّ ﷺ أنّه قال : «خذوا ثلث دينكم من الحميراء»(٣) .

وهل أوّل جواز الاختلاط من أنّها قادت جيشاً جرّاراً وجنداً قهّاراً إلىٰ حرب البصرة ، وحاربت أمير المؤمنين عليه السلام ومعه أعاظم أصحاب النبيّ ﷺ من الأنصار والمهاجرين(٤) .

دع عنك هذا! وراجع كتاب «بلاغات النساء» وأمثاله ، وآنظر إلىٰ النساء اللاتي كنّ يخطبن في الجيوش في صفّين ويحرّضن أهل العراق

(١) آنظر : بلاغات النساء : ٥٤ ـ ٦٩ ، شرح الأخبار ٣ / ٤٠ ، معاني الأخبار : ٣٥٥ ، دلائل النبوّة ـ لابن جرير الطبري ـ : ٣٠ ـ ٤١ ، الاحتجاج ١ / ٢٥٣ ـ ٢٩٢ ، شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ، كشف الغمّة ٢ / ٤٨٠ ـ ٤٩٤ ، جواهر المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب ١ / ١٥٥ ـ ١٦٩ .

(٢) آنظر : بلاغات النساء : ٣٥ .

(٣) آنظر : النهاية في غريب الحديث ١ / ٤٣٨ مادّة «حمر» ، الإحكام في أُصول الأحكام ١ / ٢١١ مسألة ١١ ، لسان العرب ٣ / ٣١٧ مادّة «حمر» ، البداية والنهاية ٣ / ١٠٣ ، السيرة النبويّة ـ لابن كثير ـ ٢ / ١٣٧ .

(٤) إشارة إلىٰ حرب الجمل التي قادتها عائشة ضدّ إمام زمانها الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكان معه الأجلّاء من أصحاب رسول الله ﷺ أمثال : عبد الله بن عبّاس ، وعمّار بن ياسر ، ومحمّد ابن أبي بكر ، ومالك الأشتر ، وحُجر بن عديّ وأمثالهم .

آنظر : تاريخ خليفة بن خيّاط : ١٣٥ حوادث سنة ٣٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٧٨ ـ ٨٢ ، تاريخ الطبري ٣ / ١١ ـ ٦٦ ، مروج الذهب ٢ / ٣٥٥ ـ ٣٧٤ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٩٩ ـ ١٤٩ .

على حرب أهل الشام[١]!

وانظر إلى كلام الوافدات[٢] على معاوية بعد أن تمّ الأمر له، وكيف كانت تلك النسوة أجرأ من اللبوة، وأقوى قلباً من الصخور.

أُنظر إلى الخنساء[٣] يوم حرّضت أولادها الأربعة في بعض حروب المسلمين حتّى قُتلوا جميعاً[٤].

وبعد هذا، فهل تجد من الصحيح قولك: «إنّ الإسلام حرم المرأة من مخالطة الرجال»؟!

ألم تكن النساء تضمّد الجرحى وتسقي العطاشى، وتزغرد وتهلهل وتحرّض المقاتلين على الهجوم في حرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحرب الوصيّ عليه السلام؟!

دع وانظر إلى صفايا النبوّة وحرائر الرسالة وبنات سيّد الموحّدين

(١) مثل كلام الزرقاء بنت عديّ بن غالب، وبكارة الهلالية، وأُمّ سنان بنت خيثمة بن خرشة.
انظر: بلاغات النساء: ٩٠ ـ ٩٣، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب ٢/٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٢) مثل كلام سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية، وآمنة بنت الشريد زوجة عمرو ابن الحَمِق الخزاعي رضي الله عنه التي حبسها معاوية سنتين.
انظر إلى: «بلاغات النساء» لابن طيفور، و«أعلام النساء» لعمر رضا كحّالة، وأمثالهما من الكتب. القاضي الطباطبائي.

(٣) هي: الخنساء بنت عمرو بن الشريد، اتّفق أهل العلم بالشعر أنّه لم يكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، ووفدت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم، وتوفّيت سنة ٦٤٦ ميلادية. القاضي الطباطبائي.

(٤) انظر ترجمة الخنساء في: الاستيعاب ٤/١٨٢٧ ـ ١٨٢٩ رقم ٣٣١٧، أُسد الغابة ٦/٨٨ ـ ٩٠ رقم ٦٨٧٦، الإصابة ٧/٦١٣ ـ ٦١٦ رقم ١١١٠٦.

ويعسوب الدين عليه‌السلام ، من زينب وأُمّ كلثوم وسكينة وخطبهنَّ في كربلاء والكوفة والشام ، وفي مجلس يزيد وآبن زياد ، في النوادي والمجتمعات ، فهل مع هذا كلّه تقول : إنّ التعاليم حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم وأرجعتها إلىٰ بيتها ؟ !

أمّا آية الحجاب ، فهي واردة في خصوص نساء النبيّ عليه‌السلام ، وكان الأعراب الّذين أخبر الله جلّ شأنه عنهم بقوله تعالىٰ : **﴿ إنّ الّذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾**[1] يؤذون نساء النبيّ بالهجوم عليهنّ في منازلهنّ ، فنهاهم الله عن ذلك ، راجع سورة الأحزاب[2] .

نعم ، إنّ التعاليم الإسلامية حرّمت علىٰ النساء مطلقاً التبرّج وإظهار الزينة للرجال : **﴿ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولىٰ ﴾**[3] ، وأين هذا من

(١) سورة [الحجرات] ٤٩ آية : ٤ . القاضي الطباطبائي .

وآنظر تفسير الآية الكريمة ـ مثلاً ـ في : تفسير الطبري ١١ / ٣٨١ ـ ٣٨٢ ، تفسير الفخر الرازي ٢٨ / ١١٧ ، مجمع البيان ٩ / ١٩٥ ، الدرّ المنثور ٧ / ٥٥٢ ـ ٥٥٤ .

(٢) آنظر مثلاً : تفسير الفخر الرازي ٢٥ / ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، مجمع البيان ٨ / ١٥٢ ، الدرّ المنثور ٦ / ٦٣٩ ـ ٦٤٣ .

(٣) سورة [الأحزاب] ٣٣ آية ٣٣ .

قال الجصّاص ـ المتوفّىٰ ٣٧٠ هـ ـ : **﴿ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولىٰ ﴾** يعني إذا خرجتنّ من بيوتكنّ ، قال : كانت لهنّ مشية وتكسّر وتغنّج فنهاهنّ الله عن ذلك ، وقيل : هو إظهار المحاسن للرجل ، وقيل : الجاهلية الأولىٰ ما قبل الإسلام ، والجاهلية الثانية حال من عمل في الإسلام بعمل أُولئك ، فهذه الأمور كلّها ممّا أدبّ الله تعالىٰ به نساء النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم صيانة لهنّ ، وسائر نساء المؤمنين مرادات بها (ا . هـ) .

آنظر : أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٤٣ ط مصر . القاضي الطباطبائي .

حرمة المخالطة ؟!

ولو سلّمنا تنازلاً بحرمة المخالطة، فأيّ منافاة بهذا لِما أبديناه وأريناه من أنّ حمله لنسائه وأولاده استماتة في سبيل الكرامة والشرف ؟! فإنّ حمله لهنّ لا يستلزم المخالطة بوجه، وإلّا لَما جاز لامرأة أن تسافر من محلّ إلىٰ آخر أبداً!

وأغرب من ذلك، بل وأعجب جدّاً قولك ـ أيّدك الله وسدّدك ـ: «وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصي، وهو أنّ الخمسة أثواب يزيد ثمن الواحد منها علىٰ مئة ليرة عثمانية لا يتوافق اقتناؤها مع دواعي الزهد التي كانت متجسّمة في أبيه وجدّه سيّد الرسل...» إلىٰ آخر ما أفضت به وأفدت في هذه الناحية.

وكأنّك ـ عافاك الله ـ تحسب أنّ الزهد هو الفقر والفَلاكة[1] وعدم الوجدان، وأنّ الغناء والثروة تنافي الزهد ؟!

لا يا عزيزي، أعزّك الله! حقيقة الزهد هو عدم الحرص علىٰ المال، وعدم المبالاة في الدنيا، وأن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء؛ وقد جمع الله الزهد في كلمتين: ﴿ **لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا**

---

(١) الفَلَاكَةُ: الفقر، والمَفْلُوكُ: الفقير، وجمعه: مَفَاليك، وهي كلمة فارسية الأصل.

هذا، وقد ألّف الدلجي، أحمد بن عليّ بن عبد الله الشافعي، المتوفّىٰ سنة ٨٣٨ هـ، كتاباً حول الفقر والفقراء بحث فيه عن أسبابه وعلله وذويه وحالتهم، وأورد فيه أشهر من عضّهم الفقر بنابه وأناخ عليهم الدهر، سمّاه «الفَلَاكَةُ والمَفْلُوكون».

انظر: هديّة العارفين ١ / ١٢٤، إيضاح المكنون ٢ / ٣٢٠، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١ / ٨٧٧، المعجم المجمعي ٦ / ١١٢ مادّة «فلك».

بما آتاكم﴾[١]، وحقيقة الزهد لا تظهر ولا تتجلّى إلّا مع توفّر النعم وغزارة المال وبذله، وعدم الحرص، والتعفّف عن رذيلة الشحّ والبخل **﴿ومن يوق شحّ نفسه فأُولئك هم المفلحون﴾**[٢].

أمّا الفقير المعدم، الذي لا يجد ولا يملك شيئاً، فأيّ زهد له؟! وأيّ فضيلة له بذلك الزهد القهري؟! وقد سئل الحسن البصري: «أنت أزهد أم عمر بن عبد العزيز ـ وهو خليفة المسلمين ـ؟ فقال: عمر بن عبد العزيز أزهد منّي؛ لأنّه وجد فعفّ، وتمكّن فكفّ؛ ولعلّ الحسن لو وجد وتمكّن لاستخفّ، وأكل فأسرف»[٣].

● وأمّا رسول الله وأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليهما وآلهما ـ حيث كانوا يأكلون الشعير ويلبسون الصوف، فليس لأنّهم كانوا لا يتمكّنون من المآكل الطيّبة والملابس الليّنة، ولكنّهم كانوا يحتقرون الدنيا ونعيمها الفاني، ويقولون عن أهل الدنيا: «أُولئك قومٌ عجّلت لهم طيّباتهم، ونحن أُخّرت طيّباتنا»[٤].

● ولأمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» كلام مع العلاء بن عاصم، الذي ترك الدنيا ولبس الصوف، فقال له: «يا عُدَيَّ[٥] نفسه! لقد

---

(١) سورة [الحديد] ٥٧ آية ٢٣. القاضي الطباطبائي.

(٢) سورة [الحشر] ٥٩ آية ٩، سورة [التغابن] ٦٤ آية ١٦. القاضي الطباطبائي.

(٣) لم نجده بهذا اللفظ في ما بين أيدينا من المصادر، وأنظر قريباً منه في ربيع الأبرار ١/ ٨١١.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٤/ ١١٧ ح ٧٠٧٢، زاد المسير ٧/ ١٧٧، مجمع البيان ٩/ ١٣١، الترغيب والترهيب ٤/ ٦٢ ح ١٢٠.

(٥) عُدَيّ تصغير عدوّ. القاضي الطباطبائي.

استهام بك الخبيث (يعني: الشيطان).

فقال: يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟!

قال: ويحك! إنّي لستُ كأنت، إنّ الله تعالىٰ فرض علىٰ أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس؛ كي لا يتبيّغ[1] بالفقير فقره»[2].

● وللباقر والصادق عليهما السلام مع سفيان الثوري وأصحابه من متقشّفة ذلك العصر ومتصوّفة تلك الأيّام، حيث كانوا يعترضون علىٰ الأئمّة عليهم السلام إذا وجدوا عليهم بعض الملابس الفاخرة قائلين: «إنّ جدّكم رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما ما كانوا يلبسون هذه الملابس؟!

فيقول لهم الإمام: ذاك حيث إنّ الزمان قلّ، أمّا إذا درّت الدنيا أخلافها فأَوْلىٰ الناس بها أولياء الله»؛ أو ما هو بهذا المضمون[3].

● وللرضا عليه السلام كلامٌ عالٍ شريفٌ في هذا الموضوع[4].

أقول: وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١/٣٣ رقم ٢٠٢ إضافة إلىٰ هذا المعنىٰ، أنّه يمكن أن يراد به التحقير المحض، ويمكن أن يراد به الاستعظام لعداوته لنفسه.

(١) تبيّغ: هاج، تبيّغ به الدم؛ أي هاج به، وتبيّغ بالفقير فقره؛ أي هاج عليه وحمله علىٰ المنكر من الأعمال.

انظر: لسان العرب ١/٥٥٨ مادّة «بيغ».

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٢٣ ط مصر [ص ٣٢٤ - ٣٢٥ رقم ٢٠٩]، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١١ ط مصر [١١/٣٢ - ٣٣ رقم ٢٠٢]. القاضي الطباطبائي.

(٣) انظر: كشف الغمّة ٢/١٥٧، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣/٤٢٥ رقم ٩٣٣، سير أعلام النبلاء ٦/٢٦١ - ٢٦٢ رقم ١١٧، بحار الأنوار ٤٧/٢٢١ ح ٧.

(٤) نقل الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٢٧٩ رقم ٨١ حديثاً عن الإمام

ولقد كان لأمير المؤمنين عليه السلام في المدينة من الضياع والبساتين والمزارع كعين أبي نيزز والبغيبغة وغيرها[1] ما يدرّ كلّ سنة بأُلوف الدنانير ، وقد أوقفها جميعاً في سبيل الله ، وكان يضرب بالمسحاة بيده في عقار الله ، لا حرصاً على الدنيا والأموال ، ولكن حرصاً على الإنفاق في سبيل الله والإحسان على الضعفاء من عباد الله[*] ،

الرضا عليه السلام ، عن أبيه موسىٰ بن جعفر عليه السلام ، قال : سئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدنيا ، قال : **الّذي يترك حلالها مخافة حسابه ، ويترك حرامها مخافة عقابه** ، ونحوه في معاني الأخبار : ٢٨٧ .

(١) آنظر ما يخصّ أملاك أمير المؤمنين عليه السلام التي تصدّق بها : تاريخ المدينة ١ / ٢١٩ ـ ٢٢٨ ، الكامل في اللغة والأدب ٢ / ١٥٣ ـ ١٥٥ ، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ لسليمان الكوفي ـ ٢ / ٨١ ـ ٨٣ ، معجم ما استعجم ١ / ٢٦٢ ، الإصابة ٧ / ٣٤٣ رقم ١٠٦٦٠ ، معجم البلدان ٤ / ١٩٨ رقم ٨٦٩٩ .

وأبو نيزر الذي تنسب إليه العين هو مولىً للإمام عليّ عليه السلام ، كان ابناً للنجاشي ملك الحبشة ـ الذي هاجر إليه المسلمون ـ لصُلبه ، وجده الإمام عليّ عليه السلام عند تاجر بمكّة فاشتراه منه وأعتقه مكافأةً بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه ، وذكروا أنّ الحبشة مَرِجَ عليها أمرُها بعد موت النجاشي ، وأنّهم أرسلوا وفداً منهم إلىٰ أبي نيزر وهو مع الإمام ليُمَلّكوه عليهم ويتوّجوه ولا يختلفوا عليه ، فأبىٰ ، وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن مَنَّ الله علَيَّ بالإسلام .

آنظر ترجمته في المصادر المذكورة أعلاه .

(*) قال السيّد رضي الدين بن طاووس الحسني رحمه الله في كتابه القيّم «كشف المحجّة» ما هذا لفظه : وآعلم يا ولدي محمّد . . . أنّ جماعة ممّن أدركتهم كانوا يعتقدون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جدّك محمّداً وأباك عليّاً صلوات الله عليهما كانا فقيرين لأجل ما يبلغهم إيثارهم بالقوت وآحتمال الطوىٰ والجوع والزهد في الدنيا ، فاعتقد السامعون لذلك الآن أنّ الزهد لا يكون إلّا مع الفقر ، وتعذّر مع الإمكان .

وليس الأمر كما اعتقده أهل الضعف ، المهملين للكشف ؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام أغنىٰ أهل الدنيا ؛ بتمكين الله جلّ جلاله لهم ممّا يريدون منه جلّ جلاله من

﴿ الإحسان إليهم ، ومن طريق نبوّتهم كانوا أغنىٰ أممهم وأهل ملّتهم ، ولولا اللطف برسالتهم ما كان لأهل وقتهم مال ولا حال ، وإنّما كانوا عليهم السلام يؤثرون بالموجود ولا يسبقون الله جلّ جلاله بطلب مال يريد أن يطلبوه من المفقود .

وقد وهب جدّك محمّد صلى الله عليه وآله أمّك فاطمة صلوات الله عليها فدكاً والعوالي من جملة مواهبه ، وكان دخلها في رواية الشيخ عبد الله بن حمّاد الأنصاري أربعة وعشرون ألف دينار كلّ سنة ، وفي رواية غيره سبعون ألف دينار ، وهي وزوجها المعظّم والواهب الأعظم من أعظم الزهّاد والأبرار ، وكان يكفيهم منها أيسر اليسير ، ولكنّ العارفين ما ينازعون الله جلّ جلاله في تملّك قليل ولا كثير ، ولكنّهم كالوكلاء والأمناء والعبيد الضعفاء ، فيصرفون في الدنيا وفي ما يعطيهم منها كما يصرّفهم هو جلّ جلاله ، وهم في الحقيقة زاهدون فيها وخارجون عنها .

ووجدت في أصلٍ ، تاريخ كتابته سبع وثلاثين ومئتين . . عن مولانا عليّ أبيك أمير المؤمنين عليه السلام : تزوّجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش ، وصدقتي اليوم لو قُسّمت علىٰ بني هاشم لوسعتهم .

وقال في الكتاب : إنّه عليه السلام وقف أمواله وكانت غلّته أربعين ألف دينار ، وباع سيفه وقال : من يشتري سيفي ؟ ! ولو كان عندي عشاء ما بعته .

وروىٰ فيه أنّه قال مرّةً عليه السلام : من يشتري سيفي الفلاني ؟ ! ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته ؛ قال وكان يفعل هذا وغلّته أربعون ألف دينار من صدقته . . .

ورأيت في كتاب إبراهيم بن محمّد الأشعري ، الثقة ، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قُبض عليٌّ عليه السلام وعليه دين ثمانمئة ألف درهم ، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمئة ألف درهم فقضاها عنه ، وباع ضيعة أُخرىٰ له بثلاثمئة ألف درهم فقضاها عنه ، وذلك أنّه لم يكن يذر من الخمس شيئاً وكان تنوبه نوائب .

ورأيت في كتاب عبد الله بن بكير ، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، أنّ الحسين عليه السلام قُتل وعليه دين ، وإنّ عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام باع ضيعة له بثلاثمئة ألف ليقضي دَين الحسين عليه السلام . . .

وكان وقف جدّك أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ أولاده خاصّة من فاطمة عليها السلام لها عامل من ذرّيّته ، فكيف وقع الضعفاء أنّه كان فقيراً وأنّ الغنىٰ لا يكون لمن جعله الله جلّ جلاله من خاصّته ؟ ! وهل خلق الله جلّ جلاله الدنيا والآخرة إلّا لأهل ﴾

ﷺ عنايته ؟ ! (ا . هـ) .
[آنظر : كشف المحجّة ١٢٣ ـ ١٢٦] .
وغير خفيّ علىٰ القارئ الكريم أنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام استخرج عيوناً بكدّ يده بالمدينة وينبع وسويعة ، وأحيىٰ بها مواتاً كثيراً ، ثمّ أخرجها عن ملكه وتصدّق بها علىٰ المسلمين ، ولم يمت وشيء منها في ملكه ، وجملة من وصاياه عليه السلام في صدقاته وموقوفاته مروية في الجامع الكبير «الكافي» للكليني رحمه الله [٤٧/٧ ـ ٥٥] ؛ فراجع .
ولم يورّث أمير المؤمنين عليه السلام بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلّا عبيده وإماءه وسبعمئة درهم من عطائه تركها ليشتري بها خادماً لأهله قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً ، علىٰ حسب المئة أربعة دنانير ، هكذا كانت المعاملة بالدراهم إذ ذاك .
وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعمل بيده يحرث الأرض ويستقي الماء ويغرس النخل ، كلّ ذلك يباشر بنفسه الشريفة ولم يستبْقِ منه لوقته ولا لعقبه قليلاً ولا كثيراً ، وإنّما كان صدقة ، وقصّة عين أبي نيزر معروفة ، نقلها أبو العبّاس المبرّد في «الكامل» ؛ آنظر : ج ٣ ص ٩٣٧ ط مصر [١٥٣/٢ ـ ١٥٥] .
وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله ضياع كثيرة جليلة جدّاً بخيبر وفدك وبني النضير ، والحوائط السبعة مشهورة وقد أوصىٰ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ ابنته الصدّيقة الطاهرة عليها السلام .
وروي أنّ هذه الحوائط كانت وقفاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ منها ما ينفقه علىٰ أضيافه ومن يمرّ به ، فلمّا قبض جاء العبّاس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها ، فشهد عليّ عليه السلام وغيره أنّها وقف .
وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وادي نخلة وضياع أُخرىٰ كثيرة بالطائف .
عن أبي بصير ، قال : لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أنّ طلحة والزبير يقولان : ليس لعليّ مال ؛ فشقّ ذلك عليه ، وأمر وكلاءه أن يجمعوا غلّته ، حتّىٰ إذا حال الحول أتوه وقد جمعوا من ثمن الغلّة مئة ألف درهم فنثرت بين يديه ، فأرسل إلىٰ طلحة والزبير ، فأتياه ، فقال لهما : هذا المال والله لي ، ليس لأحد فيه شيء ؛ وكان عندهما مصدَّقاً ، فخرجا من عنده وهما يقولان : إنّ له لمالاً .
آنظر : الجامع الكبير «الكافي» [٤٤٠/٦] ، والبحار [١٢٥/٤١ ـ ١٢٦] ،
ﷺ

وكانت قِنية[1] تلك الأثواب الثمينة تمسّ ورع الحسين عليه السلام وزهده لو كان يشحّ بها ويحرص عليها ، أمّا وقد بذلها في فكّ الأسير المجاهد في سبيل الله فتلك فضيلة للحسين عليه السلام ، وكرامة تزيد في علوّ ورعه وزهده ، ورغبته في تضميد عواطف الفقراء المجروحة ، والترفيه عن كلّ بائس محتاج .

ولعلّك ـ عافاك الله ـ حسبت أنّ الحسين عليه السلام يلبس تلك الثياب ويتظاهر فيها بالبذخ والخيلاء ، أو نحو ذلك ممّا ينافي تلك القدسيّة السامية ؟ !

كلّا يا عزيزي ! فإنّ الحسين ـ سلام الله عليه ـ لو ملك الدنيا كلّها لوهبها لحظة واحدة في سبيل الله ، وفي سبيل البرّ والمعروف ، وما كان يضع شيئاً من تلك الثياب علىٰ بشرة بدنه الشريف ، وإنّما يقتنيها ليجود بها ويعطيها ويضعها في مواضعها اللائقة بها .

وقد ورد في بعض الأخبار أنّه سلام الله عليه لمّا استُشهد كان عليه من الدين سبعة آلاف دينار ذهباً ، أو سبعون ألفاً ، وأنّ عليّ بن الحسين لمّا رجع إلىٰ المدينة امتنع عن الطعام والمنام إلىٰ أن قضاها عن أبيه[2] .

والخلاصة : إنّ الزهد هو قطع العلاقة عن الدنيا ، وعن حبّ المال ،

☜ وشرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ج ٣ ص ٤٣٣ ط مصر [١٥ / ١٤٦ وما بعدها] ، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٠ ط مصر [٤ / ٣٢١ ـ ٣٢٧] . القاضي الطباطبائي .

(١) قَنا يَقْنُو قَنْواً وقُنْواناً ، والمصدر القِنيان والقُنيان ، وتقول : اقتنىٰ يقتني اقتناء ، وهو أن يتّخذه لنفسه لا للبيع ، ويقال : هذه قِنيَةٌ وآتخذها قِنيةً للنسل لا للتجارة .

آنظر : لسان العرب ١١ / ٣٢٩ مادّة « قنا » .

(٢) كشف المحجّة : ١٢٥ .

لا عدم وجود المال، وليس الزهد هو لبس الثياب الممزّقة والأطمار المرقّعة والمآكل الخشنة!

وآسمح لي ـ يا نور عيني ـ أن أقول لك: إنّ أكثر الناس لا يعرفون من حقيقة الزهد شيئاً، والموكب العظيم الذي سار فيه الحسين عليه السلام من الحجاز إلىٰ العراق، وسقىٰ في قفر الأرض بِحَرّ الهجير ألف فارس وألف فرس[١] أعظم من قضية الثياب الخمسة.

أمّا زيد بن أرقم وقوله: «إرفع عودك عن هاتين...» إلىٰ آخره..

فلعلّ تقبيل رسول الله شفتَي الحسين عليه السلام من جهة أنّه تعالىٰ أعلمه أنّهما موضع ضرب يزيد وآبن زياد الّذين قرعوا ثغر الحسين عليه السلام بالخيزرانة[٢].

وأمّا حديث: «نحن أسرار الله المودعة...» إلىٰ آخره..

---

(١) إشارة إلىٰ قضية الحرّ رضي الله عنه ولقائه مع سيّد الشهداء عليه السلام، ومنعه الإمام عليه السلام من الدخول إلىٰ الكوفة، مذكورة في كتب التاريخ والمقاتل، لا حاجة إلىٰ ذكرها، ومن شاء أن يطّلع فعليه بالمراجعة إلىٰ مظانّها. القاضي الطباطبائي.

(٢) نقل العلّامة الزمخشري قضية زيد بن أرقم مع ابن زياد بهذه الصورة، قال في «الفائق» ما هذا لفظه:

ابن زياد لعنه الله: دخل عليه زيد بن أرقم وبين يديه رأس الحسين ـ عليه وعلىٰ أبيه وجدّه وأُمّه وجدّته من الصلوات أزكاها، ومن التحيّات أنماها ـ وهو ينكته بقضيب معه، فغُشي عليه، فلمّا أفاق قال له: ما لك يا شيخ؟! قال: رأيتك تضرب شفتين طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبّلهما؛ فقال ابن زياد لعنه الله: أخرِجُوه! فلمّا قام ليخرج قال: إنّ محمّديكم هذا لَدَحْدَاح.

أنظر: الفائق ج ٣ ص ٣٢٩ ط مصر ١٣٦٤ هـ [١/ ٤١٩ مادّة «دحح»]. القاضي الطباطبائي.

وراجع أيضاً ما تقدّم من المصادر في ص ٥١ هامش رقم ١.

فحيث إنّه من الأسرار التي لا يليق إفشاؤها[1]، مضافاً إلىٰ ضيق المجال وطول المقال، فالأجدر عدم الخوض فيه.

ونسأله تعالىٰ أن يعصم أفهامنا وأقلامنا من الهفوات.

وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب.

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

* * *

---

(١) أقول: لقد ورد عن الأئمّة عليهم السلام ما يؤكّد علىٰ كتمان أسرارهم وعدم إذاعة أمرهم في المجالس العامّة، وفي المحافل التي يغلب عليها الجهل ونصب العداوة لهم عليهم السلام، وذلك حذراً من عدم استطاعة العقول الضيّقة من تحمّل تلك الأسرار، ومن ثُمَّ تأويلها حسب الأهواء ممّا يدفع بعضهم إلىٰ الغلوّ إلىٰ درجة العبودية، وبعضهم الآخر إلىٰ التكذيب بها فالبغض إلىٰ درجة نصب العداء لهم وتكفير شيعتهم والموالين لهم.

يقول أمير المؤمنين الإمام عليٌّ عليه السلام: **إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحمله إلّا عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلّا صدور أمينة وأحلام رزينة.**

أنظر: نهج البلاغة: ٢٨٠ من كلامه في صعوبة الإيمان.

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: **إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا ملَكٌ مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، وما أنكرت فرُدّوه إلينا.**

أنظر: بصائر الدرجات: ٤٠.

وإلىٰ ذلك يشير الإمام أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام حين قال: **إنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله.**

أنظر: أُصول الكافي ٢ / ٢٥١ باب الكتمان ح ٥.

(٢)

[معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله وسلم :]

حسين منّي وأنا من حسين(١)

ورد إلىٰ الإمام كاشف الغطاء رحمه الله من الكويت سؤال عن معنىٰ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **حسين منّي** . . . » ، فأجابه الإمام بجواب غالي .

السؤال :

إلىٰ مولاي حجّة الإسلام ، والمجاهد الأكبر في إحياء المذهب ، الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء المحترم ، دمت بالعزّ والهنا ؛ أدام الله تعالىٰ ظلّه الظليل .

بعد تقديم فروض التحيّات مع واجب الاحترام بتحيّة الإسلام ، وأتمنّىٰ لكم السعادة والإقبال .

مولاي ! أسمع من كثير من الخطباء علىٰ منبر الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام أحاديث جمّة يذكرونها عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن جملتها هذا الحديث : « **حسين منّي وأنا من حسين** » ، وكلّما أمعنت النظر وأكثرت من التفكير فيه لم أصل إلىٰ حدٍّ يوقفني عنده .

فأعلم في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **حسين منّي** » هو أنّ الحسين وُلد من

(١) جنّة المأوىٰ : ١٦٧ ـ ١٧٢ .

فاطمة عليها السلام ، وفاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن يقف حدّي وأتحرّج في تفكيري ويختلف عقلي في تفسيرها .

وعلمت أنّك أنت الملاذ الوحيد في صدور هذه المسائل ؛ ولذا كتبت لشخصكم الفذّ هذا الكتاب راجياً منكم تفسيرها على الوجه الأكمل .

هذا ، ولا عَدِمنا وجودكم ، ودمتم نبراساً وعَلماً للأُمّة والمذهب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى ٤ محرّم الحرام سنة ١٣٦٨ .

خادمكم المحتاج

أحمد مراد محمّد

❊ ❊ ❊

[جواب الشيخ كاشف الغطاء قدس سره]

بسمه تعالىٰ

الجواب :

ورد في كتابك المؤرّخ ٤ محرّم ١٣٦٨ هـ بخصوص الحديث النبويّ الحسينيّ المشهور ، الذي أصبحت شهرته تغني عن البحث في صحّة سنده وعدم صحّته ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**حسين منّي وأنا من حسين**»[1] ، وأنّ عقلك قد اختلف عليك في تفسير الجملة الثانية ولم تستطع أن تحمله علىٰ تفسيرها ، وتطلب منّا بيان معناها وتفسيرها علىٰ الوجه الأكمل .

وقد طرق باب هذا السؤال كثيرون قبلك ، منّا ومن غيرنا ، ونحن لا ندري كيف فسّره غيرنا[2] ، والذي نحتمله فيه عدّة وجوه ، نذكرها

(١) مصنّف ابن أبي شيبة ٧ / ٥١٥ ، مسند أحمد ٤ / ١٧٢ ، التاريخ الكبير ـ للبخاري ـ ٨ / ٤١٥ ، الأدب المفرد ـ للبخاري ـ : ٨٥ رقم ٣٦٤ ، سنن الترمذي ٥ / ٣٢٤ ، سنن ابن ماجة ١ / ٥١ ح ١٤٤ ، المعجم الكبير ٣ / ٣٣ رقم ٢٥٨٩ و ٢٢ / ٢٧٤ ، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ / ١٧٧ ، تاريخ دمشق ١٤ / ١٤٩ ، أُسد الغابة ٢ / ١٩ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩ / ٥٩ ح ٦٩٣٢ ، الطبقات الكبرىٰ ـ لابن سعد ـ : ٢٧ ح ٢٠٨ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ، الكنىٰ والأسماء ـ للدولابي ـ ١ / ٨٨ ، المعرفة والتاريخ ـ للفسوي ـ ١ / ١٣٩ ، فضائل الخلفاء الأربعة ـ لأبي نعيم ـ : ١١٧ ح ١٢٧ ، البداية والنهاية ٨ / ٢٢٤ .

(٢) قال السيّد عبد الله شبّر في «مصابيح الأنوار» : «روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : ←

ونشير في كلّ وجه إلىٰ ما يؤيّده وإلىٰ ما يبعّده .

الأوّل :

من المحتمل أنّ المراد به هو الدارج المتعارف ؛ حيث يقول الرجل لولده أو أخيه أو أحد أقربائه : أنا منك وأنت منّي ؛ ويستعمل في مورد الكناية من شدّة الاتّصال والقرب المقتضي للمودّة والمحبّة ؛ لأنّهما من شجرة واحدة ومتفرّعان من أصل واحد ؛ فيكون المراد ـ والله العالم ـ : إنّي أنا والحسين من نور واحد وشجرة واحدة ، أُحبّه ويحبّني ، وأتّصل به ويتّصل بي .

ويؤيّد هذا المعنىٰ شيوع هذا الاستعمال وكثرته ، والمشكوك يلحق بالأعمّ الأغلب .

والذي يبعّده أنّه معنىً تافه لا مزيّة فيه للحسين عليه‌السلام ، بل يشاركه أبوه وأخوه ، بل سائر بني هاشم ، وسياق الكلام يقتضي أن يكون المراد بيان مزيّة تختصّ بالحسين من النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم دون غيره .

الثاني :

أن يكون المراد ـ والله أعلم ـ المعنىٰ الذي يقصد بقولهم : «النخلة

(حسين منّي . . .) ، والإشكال في الفقرة الثانية ، وقد قيل في توجيهها : إنّهما لمّا كانا من نور واحد ، ثمّ قسّما ، صدق أنّ كلّ واحد منهما من الآخر» ؛ أنظر : ج ٢ ص ٣٩٩ ط / النجف . القاضي الطباطبائي .

من النواة والنواة من النخلة»[١]، وفي الشجرة بذرة منها توجد الشجرة؛ فيكون كناية عن كون الحسين عليه السلام قد انطوىٰ فيه جميع كمالات الشجرة، أي كمالات النبيّ ﷺ ، ففيه كمالات النبوّة المعنويّة دون النبوّة الظاهريّة الرسميّة.

وهذا المعنىٰ يؤيّده مساعدة الاعتبار ومطابقة الحقيقة والوجدان.

ويبعّده أنّ لازمه اختلاف سياق الجملتين، كما لا يخفىٰ عن المتأمّل.

الثالث:

من المحتمل أن يكون المراد الإشارة إلىٰ ما هو المعلوم والمقطوع به من أنّه لولا شهادة الحسين عليه السلام لما بقي للإسلام اسم ولا رسم، فإنّ أبا سفيان ونغلاه[٢] (معاوية ويزيد)، حاربوا النبيّ ﷺ في الجاهليّة وحاربوه في الإسلام، لمحو الإسلام وطمس آثاره وأنواره، وقد تسنّىٰ لهم ذلك بعد شهادة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وآستقامة الأمر لمعاوية بعد صلح الحسن عليه السلام ، ولو تمّ الأمر ليزيد كما تمّ لأبيه لمحي الإسلام بالتمام وأعاد الجاهليّة علىٰ بكرة أبيها وبتمام

---

(١) أثر مروي عن عكرمة وأبي مالك في تفسير قوله: ﴿**يخرج الحي من الميّت ومخرج الميّت من الحي**﴾ سورة الأنعام ٦ : ٩٥، وقوله تعالىٰ: ﴿**وتخرج الحي من الميّت وتخرج الميّت من الحي**﴾ سورة آل عمران ٣ : ٢٧، كما في تفسير الطبري ٥/٢٧٧ ح ١٣٥٩٧، الدرّ المنثور ٢/١٧٤.

(٢) النَّغْل: ولد الزِّنْية، والأنثىٰ نَغْلة، ورجل نَغِلٌ ونَغْلٌ؛ أي فاسد النسب. آنظر: لسان العرب ١٤/٢٢٢ مادّة «نغل».

معانيها .

ولكن جزىٰ الله الحسين عليه السلام عن الإسلام أحسن الجزاء ، فلقد حفظه بشهادته ، وفداه بدمه ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه ، الّذين ما خلق الله لهم مثيلاً علىٰ وجه الأرض ، لا في عصرهم فقط ، بل منذ خلقت الدنيا إلىٰ وقتك هذا ؛ فبقاء شريعة الإسلام ونبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الحسين عليه السلام .

وهذا المعنىٰ عال شريف ، وهو عين الحقيقة والواقع ، وهي مزيّة اختصّ بها دون أبيه وأخيه فضلاً عن غيرهم .

ولكن يبعّده استلزامه اختلاف سياق الجملتين أيضاً ، إذ يكون الحاصل حسين منّي ولادة ، وشريعتي من الحسين بقاءً وآستدامة .

الرابع :

وهو أعلىٰ المعاني ، ولعلّه أصحّها وأجمعها ، وربّما تندرج تلك الوجوه في طيّه ، وهو يحتاج إلىٰ بيان مقدّمة تمهيديّة تشتمل علىٰ أمرين :

● **الأوّل** : إنّ الولادة التي هي عبارة عن تكوّن شيء من شيء ، وآنبثاق كائن من كائن آخر ، تقع في الخارج علىٰ ثلاثة أنواع :

الأوّل : تولّد جسم من جسم ، ومادّي من مادّي ، كتولّد حيوان من حيوان ، ونبات من نبات ، ومعدن من معدن ، ومنه تولّد إنسان من آخر ، فيتحقّق انتزاع النبوّة والأُبوّة والأُمومة ، وهذا هو التوالد الجسماني

المحض .

الثاني : تولّد روح من جسم ، كتولّد أرواح الحيوان من جسمه ، وتوالد أرواح البشر من أجسامها علىٰ ما حقّق في محلّه من أنّ النفس جسمانيّة الحدوث روحانيّة البقاء[١] ، وأنّ الروح تتكوّن من جسم الإنسان أو الحيوان كما تتكوّن الثمرة من الشجرة .

وأمّا أحاديث خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام[٢] ، فهي محمولة علىٰ معانٍ أُخرىٰ من الحكمة العالية والمعارف المتعالية ، ممّا لا مجال لذكرها هنا ، وهذه الولادة برزخ[٣] بين الولادة الجسمانية المحضة والروحانية المحضة التي يأتي ذِكرها ؛ لأنّها روحانية جسمانية .

الثالث : تولّد مجرّد وروح من روح ، كتولّد النفوس الكلّية[٤] من

(١) هذا رأي صدر المتألّهين ﷺ ، وقد حقّق هذا المطلب علىٰ ضوء البراهين العلمية في كتبه النفيسة كالأسفار وغيرها ، فراجع . القاضي الطباطبائي .
انظر : الأسفار الأربعة ٨/٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(٢) أنظر : الأمالي ـ للمفيد ـ : ١١٣ ـ ١١٤ ح ٦ ، المسائل السروية : ٥٢ ، معاني الأخبار : ١٠٨ ، رجال الكشّي ٢/٦٩٧ ، تفسير القرطبي ١١/٦٢ ، لسان الميزان ٣/٢٦٢ ، فتح القدير ٣/٣٢٧ ، سبل الهدىٰ والرشاد ١/٨١ و ١١/٢٦ .

(٣) البرزخ : وهو الحائل بين الشيئين ، ويُسمّىٰ : عالم المثال ، مرتبة من الوجود مجرّدة عن المادّة دون آثارها ، وتتوسّط بين عالم المادّة والطبيعة وبين العقول المجرّدة .
أنظر : نهاية الحكمة : ٢٢١ ـ ٣٢٢ ، التعريفات ـ للجرجاني ـ : ٤٤ .

(٤) النفس الكلّية : إنّ لكلّ فلك روحاً كلّياً يدبّر أمره وتنشعب منه أرواح كثيرة مثلاً للعرش ، أعني الفلك الأعظم روح يدبّر أمره في جميع ما في جوفه يُسمّىٰ بالنفس ☜

العقول الكلّية[1] في قوس النزول[2]، وتولّد العقول الجزئية من النفوس الجزئية، وتولّد النفوس الجزئية من الأجسام الشخصيّة في قوس الصعود.

وقد قرّر العرفاء الشامخون، والحكماء الإلٰهيّون، أنّه لا تنافي بين أن يتولّد شخص من آخر بالولادة الجسمانية، ويكون الوالد متولّداً من ولده بالولادة الروحانيّة؛ فآدم أبو البشر وأبو الأنبياء، وكذلك هو أب لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بالولادة الجسمانية، ولكنّه متولّد من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالولادة الروحانيّة.

ولعلّ إليه يشير شاعر العرفاء أو عارف الشعراء ابن الفارض[3]:

الكلّية والروح الأعظم.

أنظر: شرح المصطلحات الكلاميّة: ٣٧٤ عن شرح المقاصد.

(١) العقول الكلّية: وتُسمّىٰ بالعقول العشرة، وكلّ عقل منها يدبّر الفلك الذي يخصّه، وآخر هذه العقول بالتسلسل هو العقل الفعّال، ويُسمّىٰ عقل فلك القمر.

أنظر: آراء المدينة الفاضلة ـ للفارابي ـ: ٥٢ ـ ٥٤، التحصيل ـ لبهمنيار ـ: ٦٤٨، نهاية الإقدام في علم الكلام ـ للشهرستاني ـ: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) قوسا الصعود والنزول: للنفس الإنسانية مقامات ثلاثة: مقام العقل والقدس، ومقام النفس والخيال، ومقام الحسّ والطبيعة، وتتطابق هذه المقامات مع عالم العقل، والنفس، والطبيعة، فعند خلق الانسان تبدأ النفس بالنزول من مقام العقل والقدس كي تتّحد به، وهذا هو قوس النزول، ثمّ تأخذ بالتجرّد والصعود بموت الإنسان إلىٰ مقام العقل، وهو ما يُسمّىٰ بقوس الصعود، والقوسان انعطافيان ولهما نقطتان، إحداهما نهاية أُولاهما وبداية أُخراهما وهي الهيولىٰ، والثانية بالعكس، وهو الإنسان الكامل، روح العالم.

أنظر: الأسفار الأربعة ٩/ ٦١ ـ ٦٢ و ص ١٩٥.

(٣) ابن الفارض هو: شرف الدين أبو القاسم عمر بن [الحسين] الحموي المصري،

وإنّي وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنىً شاهد بأُبوّتي[(١)]

وشاعر أهل البيت عليهم السلام العُمَري[(٢)] يقول في مدح أمير المؤمنين سلام الله عليه :

أنت ثاني الآباء في مبدإ[(٣)] الدَّوْ ر ، وآباؤه تُعدّ بنوهُ

خَلَقَ اللهُ آدماً مِن ترابٍ فهو ابنٌ له وأنتَ أبوهُ[(٤)]

فآباء النبيّ ـ بالولادة الجسديّة ـ كلّهم أبناؤه ، وهي ولادة حقيقيّة ، بل

العارف المشهور ، صاحب القصيدة التائية المعروفة ـ تائية الصغرىٰ والكبرىٰ ـ ، توفّي سنة ٦٢٣ هـ بالقاهرة . القاضي الطباطبائي .

(١) ديوان ابن الفارض : ٧٣ .

(٢) هو : عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العُمَري الفاروقي الموصلي ، من مشاهير شعراء القرن الثالث عشر الهجري ، ومن أعلام أُدباء العراق في العهد العثماني ، وُلد في الموصل عام ١٢٠٤ هـ ، شغل عدّة مناصب حكومية في دولة الأتراك العثمانيّين في مدينتَي الموصل وبغداد وغيرهما ، له : «الترياق الفاروقي» ، وهو ديوان شعره ، و «نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر» و «نزهة الدنيا» و «الباقيات الصالحات» قصائد في مدح أهل البيت عليهم السلام ، و «أهلّة الأفكار في مغاني الابتكار» من شعره أيضاً .

توفّي سنة ١٢٧٨ هـ ، ومن طريف ما يروىٰ ، أنّه أرّخ وفاته بنفسه قبل أن يموت بأعوام بالبيت المنقوش علىٰ قبره ، وهو :

بلسانٍ يوحّدِ اللهَ أرّخْ ذاقَ كأسَ المَنونِ عبدُ الباقي

١٢٧٨

أنظر : الأعلام ٣ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، مقدّمة ديوانه «الترياق الفاروقي» بقلم عبد الهادي الفضلي .

(٣) في الديوان : منتهىٰ .

(٤) ديوان عبد الباقي العمري : ١٢٦ .

والبيتان من مقطوعة من أربعة أبيات رائعة ، جاءا بعد قوله :

يا أبا الأوصياء أنت لطه صهرُه وابنُ عمّه وأخوهُ

إنّ لله في معانيك سرّاً أكثرُ العالمين ما علموهُ

أحقّ من الولادة الجسميّة.

● **الثاني**: إنّ الولاية أوسع دائرة وأعلىٰ أُفقاً وأكثر أثراً من النبوّة: ﴿**هنالك الولاية لله**﴾[(١)]، وأوّل ولاية ولاية الله جلّ شأنه: ﴿**الله وليّ الّذين آمنوا**﴾[(٢)]، بل وليّ كلّ شيء: ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا**﴾[(٣)] فولاية الله هي الولاية الكبرىٰ، وولاية النبيّ ﷺ هي الوسطىٰ، وولاية أوليائه من سدرة المنتهىٰ وجنّة المأوىٰ؛ ومن هنا قالوا: إنّ الولاية أعمّ من النبوّة، وكلّ نبيّ وليّ، ولا عكس، والنبوّة تحتاج إلىٰ الولاية، والولاية لا تحتاج إلىٰ النبوّة.

إذا تمهّدت هذه المقدّمة وما تنطوي عليه من الأمرين النيّرين ظهر لك معنىٰ الحديث الشريف بالوجه الأكمل: وهو «**حسين منّي**» بالولادة الجسمانيّة «**وأنا من حسين**» بالولادة الروحانيّة، فإنّ الحسين بوجوده السعي الكلّي الخارجي العيني لا الذهني المفهومي هو الحائز بشهادته الخاصّة، وإمامته العامّة لمقام الولاية العظمىٰ، والفائز بالقدح الأعلىٰ من سدرة المنتهىٰ، وهذه هي مجمع الولايات وغاية الغايات، ومنها تنبثق وتتولّد جميع النبوّات، فلا جرم أنّ حسيناً من محمّد ﷺ ومحمّداً من حسين عليه السلام.

محمّد النبيّ من الحسين الوليّ، ونور النبوّة ينبثق من نور الولاية، ثمّ يصير النور واحداً، وهنا تزول الحيثيّات وتسقط الاعتبارات، وليس

(١) سورة الكهف ١٨ : ٤٤.
(٢) سورة [البقرة] ٢ آية : ٢٥٧. القاضي الطباطبائي.
(٣) سورة [المائدة] ٥ آية : ٥٥. القاضي الطباطبائي.

إلّا الله جلّ جلاله وأنواره وتجلّياته ، فأطفئ السراج ! فقد ظهر الصباح لذي عينين ، وزال كلّ فرق وفارق من البين ، ووصل الكلام إلىٰ مقام لا تحتمله عقول الأنام ، وهنا أسرار وأكوار[1] لا يجوز نشرها وذِكرها .

وكيف كان ، فهذا الحديث من جوامع كلماته صلوات الله عليه .

والحمد لله وليّ الإلهام في البدء والختام .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

❊ ❊ ❊

---

(١) الأكوار : جمع الكَور ؛ وهو كلّ ما تكوّر ؛ أي تلفّف وصار كوراً ؛ كالعمامة وغيرها ، علىٰ الاستعارة هنا لِما يخفىٰ .
انظر : لسان العرب ١٢ / ١٨٤ مادّة «كور» .

(٣)

الحسين كتاب الله التكويني[١]

آية الله المرجع الديني الأعلىٰ الإمام كاشف الغطاء تفضّلَ فحلّىٰ صدر «البيان» بكلمته هذه التي أعربت عن سموّ عظمته.

فلعَمر الله لقد أُوتي هذا الإمام العظيم من المواهب ما لم يؤتها إلّا ذو حظّ عظيم، فهو الأمير في البيان، والزعيم في الفقه، والمصلح الأكبر بين سائر المسلمين، فلا بدع إذا اقتدىٰ به الجماهير وآعتنق رأيه الملايين من البشر، فقد برهن طوال أربعة عقود من الزمن أنّه الحارس للدين، والراعي لشرعة سيّد المرسلين، وآثاره ناطقة، ومؤلّفاته شاهدة، وأسفاره معربة عن كلّ ذلك وفوق ذلك.

البيان[٢]

جرت عادة الصحف منذ سنوات أن تفرد عدداً خاصّاً في الحسين ـ سلام الله عليه ـ عند رأس السنّة مستهلّ محرّم من كلّ عام، فيستنهضون أقلام الكتّاب ويشحذون عزائمهم لتحبير المقالات، فيأخذ كلّ كاتب أو شاعر أو خطيب ناحية من نواحي واقعة الطفّ ويكتب فيها ما تملي عليه

(١) جنّة المأوىٰ: ١٧٣ ـ ١٧٥.

(٢) مجلّة «البيان» لصاحبها الشيخ علي الخاقاني، تصدر في النجف الأشرف. القاضي الطباطبائي.

قريحته وتؤاتيه قدرته، وكنّا كتبنا في فواتح عدّة من الصحف في مستهلّ السنوات الغابرة ما لو جمع لجاء مؤلّفاً مستقلاً وكتاباً فذّاً.

أمّا لو جمع ما كتبه العلماء والأُدباء والشعراء والخطباء في تلك الفاجعة، نعم لو جمع كلّ ما قيل في تلك الفاجعة الدامية من بدء حدوثها إلىٰ اليوم لاستوعب أُلوف الكتب والمؤلّفات، وبرزت منه دائرة معارف كبرىٰ لم يأت لها الدهر بنظير.

وليس هذا هو الغرض من كلمتي هذه، إنّما المقصود بالبيان: أنّ نهضة الحسين عليه السلام، علىٰ كثرة ما نظم الشعراء فيها ممّا يجمع مئات الدواوين، وأكثر منها الخطب والمقالات، وأُلوف المؤلّفات، هل ترىٰ أنّ كلّ ذلك وجميع أُولئك أحاطوا بكلّ مزاياها؟! وأحصوا جميع خصائصها وخفاياها؟! ووصلوا إلىٰ كنه أسرارها وعجائبها؟!

كلّا! فإنّ أسرار تلك الشهادة ومزاياها لا تزال تتجدّد بتجدّد الزمان، وتطلع كلّ يوم علىٰ البشر طلوع الشمس والقمر، لا ينتهي أمدها، ولا ينطفي نورها، ولا يحدّ سورها.

ولعلّ أقرب مثل يضرب للحسين عليه السلام هو كتاب الله المجيد، فإنّ هذا الفرقان المحمّدي ـ علىٰ كثرة تفاسيره، وشرح نكاته ودقائقه وغوامض حقائقه، وإعجازه وبلاغته، وباهر فصاحته وبراعته ـ لا يزال كنزاً مخفياً، ولا تزال محاسنه تتجدّد وأسراره تتجلّىٰ، وفي كلّ عصر وزمان يظهر للمتأخّر من إشارته ومغازيه ما لم يظهر للمتقدّم، فكأنّه يتجدّد مع الدهر، ويتطوّر بتطوّر الزمان.

نعم، القرآن كتاب الله الصامت، والحسين كتاب الله الناطق، القرآن

كتاب الله التدويني ، والحسين كتاب الله التكويني ، وكلّ من الكتابين صنع ربوبيّ وعمل إلٰهي .

نعم ، كلّ الكائنات صنع ربوبيّ ، ولكن الحسين عليه السلام والقرآن صنعهما للتحدّي والإعجاز ، وما تحدّىٰ الله بصنعه يعجز البشر عن الإحاطة به وآستيعاب مزاياه وأسراره وبدائع أحكامه وحكمته .

القرآن يملي علىٰ البشر في كلّ زمان أسرار الكون ، وخبايا الطبيعة ، ودقائق الفطرة ، ونهضة الحسين عليه السلام في كلّ محرّم من كلّ سنة ، بل في كلّ سنة تملي علىٰ الكائنات عجائب التضحية ، وغرائب الإقدام والثبات ، ومقاومة الظلم ومحاربة الظالم . .

تلقي علىٰ العالم دروس العزّة والإباء ، والاستهانة بكلّ عزيز من نفس أو مال في سبيل نصرة الحقّ وقمع الباطل والدفاع عن المبدإ والعقيدة . .

يلقي علىٰ الواعين دروس الأخلاق الفاضلة والإنسانيّة الكاملة ، والسجايا العالية والملكات الزاكية ، وكلّ ما جاء بها القرآن ، قولاً وطبّقها الحسين عليه السلام عملاً ، وأبرزها للناس يوم الطفّ عياناً .

أتريد أن تتعرّف بناحية ممّا صنع الحسين عليه السلام يوم الطفّ .

آنظر إلىٰ الكتاب الكريم ! فإنّ أقصىٰ ما طلبه من العباد في باب الجهاد هو الجهاد بالنفس والمال ، فقال تعالىٰ : ﴿ **جاهدوا بأموالكم وأنفسكم** ﴾[1] ، والحسين سلام الله عليه لم يقنع بهذا حتّىٰ جاهد بماله ونفسه وأولاده وعياله وأطفاله والصفوة من صحبه وأُسرته .

(١) سورة [التوبة] ٩ آية : ٤١ . القاضي الطباطبائي .

صنع الحسين عليه السلام يوم الطفّ صنع العاشق الولهان، فضحّىٰ في سبيل معشوقه كلّ ما أعزّ وهان، كان الله تعالىٰ أعزّ شيء عند الحسين عليه السلام، فأعزّه الله وصار ثأر الله في الأرض والوتر الموتور.

نعم، قلنا ولا نزال نقول: إنّ نهضة الحسين عليه السلام لا تحصىٰ أسرارها، ولا تنطفي أنوارها، ولا تنتهي عجائبها:

وعلىٰ افتنان الواصفين بوصفه[1] يفنىٰ الزمان وفيه ما لم يوصف[2]

فصلوات الله عليك يا أبا عبدالله وعلىٰ نهضتك المقدّسة التي حيّرت الأفكار وأذهلت العقول وأدهشت الألباب، وأعجزت عن الإحاطة بها كلّ كاتب وكتاب، علىٰ مرّ الدهور وتمادي الأحقاب.

* * *

(١) في المصدر: وعلىٰ تفنّن واصفيه بحسنه.

(٢) ديوان ابن الفارض: ١٤٧ من قصيدة بعنوان «قلبي يحدّثني»، مطلعها:

قلبي يحدّثني بأنك مُتلفي روحي فداك عرفتَ أم لم تعرفِ

(٤)

بسمه تعالىٰ

له الحمد والمجد

موقف الحسين عليه السلام وأصحابه يوم الطفّ[1]

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً إلىٰ الحشر[2] لا يزداد إلّا معاليا[3]

وذاك لأنّ موقفهم ذلك اليوم ما كان عملاً من أعمال الأنام، وحادثة غريبة من حوادث الأيّام، بل كان عملاً ربوبياً، وطلسماً إلٰهياً.

نعم، هي دروس إلٰهيّة، وتعاليم روحيّة، أملاها علىٰ جوامع الجبروت، وصوامع الملكوت، لأجيال الأبدية، وأحقاب السرمديّة، وأعقاب البشريّة.

أكبر أُستاذ إلٰهي، ومعلّم ربوبي، مع سبعين نفر من أهل بيته وخاصّته، وخريجي جامعته، ما فتح الدهر سمعه وبصره علىٰ مثيل لهم قطّ.

وقفوا ضحوة من النهار علىٰ تلال الطفّ، فألقوا علىٰ الأملاك

(١) جنّة المأوىٰ : ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٢) في المصدر : الآن .

(٣) ديوان السيّد حيدر الحلّي : ٤٥ من قصيدة بعنوان «بنات الوحي»، مطلعها :

أناعي قتلىٰ الطفّ لا زلت ناعياً تهيج علىٰ طول الليالي البواكيا

والأفلاك والأرض والسماء والإنس والجنّ دروساً طاشت لها الألباب ، وذهلت عندها البصائر ؛ ذاك لأنّ تلك الدروس ما كانت أقوالاً وكلمات ، وألفاظاً وعبارات ، بل كانت أعمالاً جبّارة ، وتضحيات قهّارة ، وعزائم ملتهبة ؛ خاضوا لجج غمرات البلاء شعلاً ناريّة ، بل نورية التمع منها في آفاق الأبديّة سطور تسجل احتقار هذه الحياة مهما كانت شهيّة بهيّة ، وتبرهن أنّها مهما غلت وعزّت فهي أرخص ما يبذل في سبيل المبدأ ، وأهون ما ينبذ في طريق الشرف والكرامة سموّ العقيدة ونبالة الذكر الخالد والمجد المؤبّد .

وليست القضية قضيّة تقابل بين مزاج يعمل للأريحيّة والنخوة ، ومزاج يعمل للمنفعة والغنيمة ، ونزاع بين العقائد ، وعراك بين الكفر والإيمان ، وحرب بين الشرك والتوحيد ، بل بين الدين والجحود ، والروح والمادّة ، والفضيلة والرذيلة .

نعم ، الحرب والتي كانت بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأبي سفيان في بدر وأُحد والأحزاب ؛ سوىٰ إنّ الأوّل ظفر بالثاني بالغالبيّة ، وفي محاربة الحسين عليه السلام ويزيد يوم الطفّ ، ظفر الأوّل بالثاني بالمغلوبيّة ، فانعكست القضيّة هنا فصار المقتول هو القاتل ، والمغلوب هو الغالب ، المقتول غالب ، القاتل مغلوب .

نعم ، كان القِراع[1] والصراع علىٰ ذلك المبدأ أوّلاً وأخيراً ، ولولا نهضة الحسين عليه السلام وأصحابه يوم الطفّ لَما قام للإسلام عمود ،

---

(١) القِراع والمقارعة : المضاربة بالسيوف ، وقيل : مضاربة القوم في الحرب .
أنظر : لسان العرب ١١ / ١٢٠ مادّة «قرع» .

ولا آخضرّ له عود، ولأماته أبو سـفيان وأبناء مـعاوية ويـزيد فـي مـهده، ولدفنوه في أوّل عهده في لحده، ولعلّ مراد القائل بالنخوة والحميّة هـذه المعاني السـامية، ولمّا ضاقت عليه العبارة رمز إليه بالإشـارة.

وعلىٰ كلٍّ، فالمسـلمون جميعاً، بل والإسـلام من سـاعة قـيامه إلىٰ قيام السـاعة رهينة شـكر للحسـين عليه السلام وأصحابه علىٰ ذلك الموقف الذي أقلّ ما يقال فيه:

لقد وقفوا في ذلك اليوم مـوقفاً إلىٰ الحشـر لا يـزداد إلّا مـعاليا

* * *

(٥)

هل البكاء علىٰ الحسين عليه السلام إغراء للشيعة ؟[١]

سؤال ورد للإمام كاشف الغطاء رحمه الله من فضيلة الشيخ كاظم الخطيب[٢] ، وهو :

هل في قراءة الخطيب للأخبار الواردة في ثواب البكاء علىٰ الحسين عليه السلام كما هو مذكور في محلّه من المقاتل الحسينيّة إغراء للشيعة يوجب حرمة قراءتها ؟

* * *

(١) جنّة المأوىٰ : ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) كان رحمه الله من فضلاء خطباء الكاظمية ، توفّي في أوائل الحكومة الجمهورية في العراق . القاضي الطباطبائي .

الجـواب :

بسـم الله الرحمن الرحيم

سـلام الله وتحيّاته وبركاته عليكم أهل البيت ، إنّه حميد مجيـد .

جزاك الله عن أخ لك في الله يواليك ويحبّك لوجه الله تعالىٰ .

ويـؤسـفني ، بـل ويـؤلمني أشـدّ الألم أن تـجـولَ[١] الصـروف[٢] والظـروف القاسية بيني وبينـك ، فلا يتمتّـع بصـري برؤيـاك ، ولا سـمعي بحديثك ، ولكن لا محيص من قضاء الله وقدره ، كما لا محيص من الرضاء بقضائه ، والعاقبة للمتّقين .

أمّا الأخبار الواردة في ثواب البكاء علىٰ الحسـين سـلام الله عليه أو زيارته[٣] ، فهي وإن كانت عظيمة ، ولكنّه ـ ولله المجد والعظمة ـ أعظم من ذلك ، ويسـتحقّ أكـثر من ذلك .

---

(١) جالَ يَـجُولُ جَـوَلاناً وجَـوْلةً : إذا ذهب وجاء وآنكشف ثمّ كَـرَّ ؛ والمـراد هـنا : تعاقب الحوادث والظروف الصارفة عن لقائهما .

آنظر مادّة «جول» في : النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٣١٧ ، تاج العروس ١٤ / ١٢٦ .

(٢) الصروف : حدثان الدهر ونوائبه .

آنظر : لسان العرب ٧ / ٣٢٩ مادّة «صرف» .

(٣) آنظـر : الكـافي ٤ / ٥٨٠ ـ ٥٨٣ باب فضـل زيـارة أبـي عـبـدالله الحسـين عليه السلام ، كامل الزيارات : ١٠٠ ـ ١٣٠ ، الأمالي ـ للصدوق ـ : ٣٠٩ ح ٣٥٥ ، وسائل الشـيعة ١٤ / ٥٠٠ ـ ٥١٠ ح ١٠٦٩٠ ـ ١٩٧٠٩ .

ولكنّ اللازم علىٰ خطباء المنابر ، والذاكرين لرزيّة الحسين عليه السلام في هذا العصر ، الذي ضعفت فيه علاقة الدين ، وتجرّأ الناس علىٰ المعاصي وتجاهروا بالكبائر ، أن يفهموا أنّ الحسين عليه السلام قُتل وبذل نفسه لأجل العمل بشعائر الدين ، فمن لا يلتزم بأحكام الإسلام ويتجاهر بالمعاصي فالحسين عليه السلام منه بريء كبراءته من يزيد وأصحاب يزيد .

وأمّا ذِكر أخبار الثواب فقط ، ففيها عظيم الإغراء[1] ، وقد تنبّه كثير من الكتّاب وذوي الألباب ونشروا ذلك في الصحف ، حتّىٰ إنّ بعضهم كتب مقالاً واسعاً في هذا المعنىٰ وجعل العنوان : «جنايتنا علىٰ الحسين» .

---

(١) أقول : إنّ كلام الشيخ رحمه الله ـ هنا ـ لا يزال موجّهاً إلىٰ الشريحة التي أخذت علىٰ عاتقها نقل أخبار خروج الإمام الحسين عليه السلام علىٰ الطاغية يزيد ـ لعنه الله ـ ، وأحداث وقعة الطفّ ، كخطب أو محاضرات تُلقىٰ من علىٰ المنابر أو تُبثّ في وسائل الإعلام المسموعة منها والمرئية علىٰ مدار السنة ، دون عامّة الناس ؛ فإنّ أُولئك قد اضطلعوا بدور خطير ، فهم المعنيّون ـ هنا ـ بنشر العقائد والأحكام الصحيحة والأخلاق الفاضلة ، كدروس وعظات وعبر مستخلصة من واقعة كربلاء ، وهو الدور المتوخّىٰ منه تربية وتزكية وتعليم من يرتاد تلك المجالس أو يستمع إليها .

فذِكر أخبار الثواب والإبكاء والتباكي ، وإنْ كان مراداً بحدّ ذاته في إحياء الشعائر وإلهاب المشاعر وإثارة العواطف ، ولكن لا ينبغي الاقتصار علىٰ ذلك ، بل يُضمّ إليه التوجيه والإرشاد والنصح والوعظ ؛ لكي لا يتّكل الناس علىٰ ذلك ويدعوا العمل بالجدّ والاجتهاد والورع والتقوىٰ ، فتكون الفائدة أعمّ وأنفع .

فالإغراء يقع عندما يتمّ التركيز علىٰ الجانب العاطفي الوجداني لهذه الواقعة الأليمة والفاجعة العظيمة وحسب ، وتجريدها من مغزاها وهدفها الحقيقي ، المتمثّل في الحفاظ علىٰ الشريعة المحمّدية السمحاء من الانحراف والاندراس ، وتحويلها إلىٰ قصّة عاطفية مأساوية تنتهي بمقتل البطل !

فتأمّل !

وحقّاً أنّ أكثر أعمالنا جناية عظمىٰ علىٰ الحسين عليه السلام ، ولا مجال للبيان أكثر من هذا .

وفّقكم الله لكلّ عمل صالح بدعاء . .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

* * *

(٦)

التضحية في ضاحية الطفّ[١][٢]

إنّ التضحية والمفاداة التي تسامىٰ وتعالى بها إمام الشهداء وأبو الأئمّة يوم الطفّ، من أيّ ناحية نظرت إليها، ومن كلّ وجهة اتّجهت لها متأمّلاً فيها، أعطتك دروساً وعبراً، وأسراراً وحكماً، تخضع لها الألباب، وتسجد في محراب عظمتها العقول.

واقعة الطفّ وشهادة سيّد الشهداء وأصحابه في تلك العرصات كتاب مشحون بالآيات الباهرات والعظات البليغة، فهي:

كالبدر من حيث التفتّ وجدته[٣]

يهدي إلىٰ عينيك نوراً ثاقبا

أو:

كالشمس في كبد السماء ونورها[٤]

يغشىٰ البلاد مشارقاً ومغاربا

---

(١) تشرّف مندوب «البيان» لدىٰ الإمام الفقيد ﷺ يستمليه كلمة للعدد الخاصّ بـ «الحسين ﷺ»؛ ليجعله غرّة في جبين هذا العدد نفسه، فأجاب الطلب، فأملىٰ عليه هذه الكلمات البليغة في بضع دقائق.

العدد ٣٥ ـ ٣٩، السنة الثانية ١٣٦٧ هـ، النجف الأشرف. القاضي الطباطبائي.

(٢) جنّة المأوىٰ: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) في المصدر: رأيته.

(٤) في المصدر: وضوؤها.

أو :

كالبحر يمنح[١] للقريب جواهراً

غرراً[٢] ويبعث للبعيد سحائبا[٣]

هذه الدنيا وشهواتها ولذائذها وزخرفها التي يتكالب عليها البشر ، ويتهاوىٰ علىٰ مذبحها ضحايا الأنام . .

هذه الدنيا التي اتّخذها كلّ واحد من الناس ربّاً ، وصار عبداً لها ولمن في يده شيء منها ، فلعبت بهم ولعبوا بها . .

هذه الدنيا وشهواتها التي أشار جلّت عظمته إلىٰ جمهرتها بقوله تعالىٰ : ﴿ **زُيِّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة** ﴾[٤] .

كانت كلّ هذه النفائس الدنيويّة قد توفّر للحسين عليه‌السلام أكملها وأجملها ؛ من المال والبنين والنساء والخيل المسوّمة ، مضافاً إلىٰ ما كان له من العزّ والكرامة وكلّ مؤهّلات الشرف والتقدير التي استحقّها بحسبه ونسبه وبيته ومواهبه .

وقد كان في ذلك العصر لا يوازيه ولا يدانيه أحد في دنيا المفاخر والمآثر ، الكلّ يعترف ويعرف ما له من عظيم القدر ورفيع المنزلة ، فسُلِّم

---

(١) في المصدر : يقذف .

(٢) في المصدر : جوداً .

(٣) أبيات للمتنبّي من قصيدة يمدح بها علي بن منصور الحاجب ، ومطلعها :

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

أنظر : ديوان المتنبّي ١ / ٢٥٧ .

(٤) سورة [آل عمران] ٣ آية : ١٤ . القاضي الطباطبائي .

المجد والصعود إلىٰ السماء بيمينه، ومفاتيح خزائن الدنيا في قبضة شماله.

ومع ذلك كلّه، فحين جدّ الجدّ وحقّت الحقيقة، بذل كلّ ذلك وضحّىٰ به في ضاحية يوم الطفّ، وفي سبيل المبدأ كان أهون شيء عليه كلّ تلك النفائس، وما اكتفىٰ حتّىٰ بذل نفسه وجسده ورأسه وأوصاله وأولاده وكلّ حبيب له وعزيز عليه في سبيل حبيبه الأعلىٰ ومعشوقه الأوّل، أفليس هو الجدير والحريّ بأن يقول:

وبما شئت في هواك اختبرني
فاختياري ما كان فيه رضاكا
يُحشر العاشقون تحت لوائي
وجميعُ الملاح تحت لواكا
وآقتباس الأنوار من ظاهري غـ
ـير عجيب وباطني مأواكا[1]

* * *

(١) ديوان ابن الفارض: ١٥٢ و ١٥٦ و ١٥٨ من قصيدة بعنوان (اختبرني في هواك) ومطلعها:

تـه دلالاً فأنت أهـل لذاكـا وتحكم فالحسن قـد أعطاكـا

(٧)

ساعة الوداع لسيّد الشهداء عليه السلام [١]

كلّما ازداد الشيء عظمة، وتعالىٰ خيراً وبركة، وتوفّرت غرر أوصافه من جميع أطرافه، وتسامت معاليه من كلّ مناحيه، ازدادت حيرة العقول فيه، وقصرت الأفهام علىٰ إدراك كنهه وأداء حقّه.

هناك ـ وما أدراك ما هناك ؟! ـ تقف الأفهام، وتنكسر الأقلام، وتطيش الألباب، وتوصد الأبواب دون الدخول إلىٰ مجاز حقيقته وحقيقة مجازه، وحلّ ألغازه، ومعرفة سرّ إعجازه مهما أطنبت وأطالت، ومهما أنشأت وقالت، فإنّ قصاراها الاعتراف بالتقصير، بل القصور عن التعبير والتصوير.

خذ إليك مثلاً علىٰ ذلك هذا القرآن العظيم..

فقد مضىٰ علىٰ نزوله من المبدأ الأعلىٰ من السماء الأسمىٰ إلىٰ هذه الأرض السفلىٰ زهاء أربعة عشر قرناً، ألف سنة وزهاء أربعمئة عام، وفي كلّ عام ـ من الصدر الأوّل إلىٰ اليوم ـ تنشر عنه المقالات وتؤلّف المؤلّفات، مطوّلة ومختصرة، عن بلاغته وفصاحته، وإعجاز آياته ودقائق نكاته، وربّما ينوف هذه النوع من المؤلّفات علىٰ الألوف، بل عشرات الأُلوف؛ ولكن أترىٰ أنّ جميع أُولئك الكتبة بلغوا من عظمة مقداره عشر

---

(١) جنّة المأوىٰ: ١٨١ ـ ١٨٤.

معشاره ؟! أو وزنوا دانقاً من قنطاره ؟! أو انتهلوا القطرة من بحره ؟! أو اهتبلوا[١] الذرّة من ذروته ؟!

لا ، ولا ، وكلّا!

ولقد أحسن العارف ابن الفارض في ما فرض في إحدىٰ عرفانيّاته حيث قال :

وعلىٰ افتنان الواصفين بوصفه
يفنىٰ الزمان وفيه ما لم يوصف[٢]

ولعلّ من قال : إنّ القرآن لم يُفسّر حتّىٰ الآن ؛ لم يبالغ في ما قال ، كلّ ذلك لتعاظم القرآن وتساميه ، وآرتفاع أُفق أسراره عن أُفق إدراك البشر .

ومن هذا القبيل وعلىٰ هذا السبيل فاجعة الطفّ التي حدثت عام إحدىٰ وستّين هجريّة ، ولا يزال المؤرّخون وأرباب السير والمقاتل والأُدباء وكتبة الشرق والغرب يكتبون عنها باحثين عن جريان سيرها ، وتسلسل أسبابها ، وأليم وقعها ، وعظيم هولها ، نظماً ونثراً ، وتمثيلاً وتحليلاً ، حتّىٰ لو أمكن تعداد نجوم السماء ، وجاز الصعود إلىٰ الجوزاء ، أمكن إحصاء كلّ ما قيل وما نظم وما نثر في هذه الحادثة النكراء ، التي ما حدث في عصر من العصور نظيرها ، ولا حدّث التاريخ بمثلها .

ولكن ، كأنّ كلّ من كتب فيها ، أوجز أو أطنب ، وقصّر وأطال ، ما

---

(١) اهتبلَ الصَّيدَ : بغاه وتكسبه ، وآهتبل لأهله إذا تكسّبَ ؛ والهبالة الغنيمة ، يقال : اهتبلْتَ غفلته ؛ أي اغتنمْتَها وآفترصْتها .
أنظر : تاج العروس ١٥ / ٧٩١ ـ ٧٩٢ مادّة «هبل» .

(٢) راجع الصفحة ١٢٦ .

اعترضها إلّا من ناحيتها السطحية، ولا تناولها إلّا من وجهتها التاريخيّة، وما أقلّ من استطاع سبر جرحها الدامي، وغورها العميق، وأسرارها الغامضة، من كلّ ناحية من نواحيها، وكلّ فصل من فصولها؛ لأنّه على الغالب غير مستطاع لهم، ولا تصل إلىٰ أقلّه أكثر أو أكبر مداركهم، علىٰ القاعدة التي افتتحنا بها كلمتنا، من أنّ الشيء كلّما ازداد عظمة تزداد فيه الحيرة، فترتبك الأفهام، وتقف الأقلام، وتعجز الأرقام.

قل لي بربّك: ريشة أيّ رسّام مصوّر مهما كان فنّاناً بارعاً ومصوّراً ماهراً يستطيع أن يمثّل ويصوّر لك حالة الحسين سلام الله عليه بعد الظهر بساعتين من يوم عاشوراء، بعد مصرع جميع أولاده وإخوته وبني أخيه وبني عمومته جعفر وعقيل وجمهرة أصحابه، حتّىٰ الأطفال والشباب الذي لم يبلغ الحلم[1]؟!

فها هي جثثهم علىٰ رقعة الأرض المحمرّة بدمائهم في حرّ الهجير تصهرهم الشمس نصب عينه، بين المعارّة[2] والمخيم، وقد خفقت أجنحة المنيّة علىٰ رأسه، وجراحاته تشخب دماً، وقد بنىٰ عليه درعه بنياناً، وحال العطش بين وبين السماء كالدخان.

ولمّا رأىٰ أنّه لم يبق بينه وبين الشهادة إلّا سويعة، ليس بينه وبين هبوط جسده المبضّع إلىٰ الأرض وعروج روحه المعذّبة إلىٰ السماء..

نعم، لم يبق إلّا هذه الحملة الأخيرة، يدخل إلىٰ الميدان ثمّ لا يخرج

(١) راجع الصفحة ٥٥.

(٢) عارّه معارّة وعراراً: قاتله وآذاه، والعرار القتال، والمعارّة: أرض القتال علىٰ الاستعارة.

أنظر مادّة «عرر» في: لسان العرب ٩ / ١٢٥، تاج العروس ٧ / ٢١١.

منه إلّا ورأسه على السنان .

نعم ، من ذا الذي يقتدر أن يصوّر لك الحسين عليه السلام وقد تلاطمت أمواج البلاء حوله ، وصبّت عليه المصائب من كلّ جانب ، وفي تلك الحال عزم على توديع العيال ومن بقي من الأطفال ؛ فاقترب من السرادق[1] المضروب على حرائر النبوّة وبنات عليّ والزهراء سلام الله عليهما ، فخرجت المخدّرات من الخدور كسرب القطاء المذعور ، فأحطن به وهو سابح بدمائه ؟!

فهل تستطيع أن تتصوّر حالهنّ وحال الحسين عليه السلام في ذلك الموقف الرهيب ولا يتفطّر قلبك ؟! ولا يطيش لبّك ؟! ولا تجري دمعتك ؟!

أمّا أنا ، فيشهد الله ـ وكفى به شهيداً ـ أنّي أكتب هذه الكلمات عصر هذا اليوم العاشر من محرّم سنة ١٣٧٣ هـ ، ولعلّها الساعة التي وقف فيها سلام الله عليه لوداع أهل بيته ، أكتب والقلب يرتجف ، والقلم يرتعش ، والعين تدمع ، والحشا تذوب وتتلاشى ، لا أدري كيف أُعبّر ؟! وكيف أُصوّر ذلك الموقف المهول ؟! وأعجب كيف لم تسقط السماء على الأرض أسىً وحزناً ولوعة وشجوىً ؟!

غيرة الله وحجّته يريد أن يرتحل من هذه الدنيا ويترك هذه الحرائر والمخدّرات في تلك الصحراء !

---

(١) السرادق : ما أحاط بالبناء ، والجمع : سرادقات ، وهو كلّ ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء .
أنظر : لسان العرب ٦ / ٢٣٤ مادّة «سردق» .

يتركهنّ في الصحراء بين جثث القتلىٰ ومصارع فتيانهنّ، وبين الوحوش الكاسرة التي قتلت رجالهنّ وأطفالهنّ.

وتدبّر ما شئت، وفكّر ما وسعك التفكير، وتأمّل كيف حاله سلام الله عليه في فراقه لهنّ وهنّ بذلك الوضع! الشائك، وكيف حالهنّ في فراقهنّ له وهو غيرة الله، وهنّ ودائع الله وودائع رسوله!

تجسّمت للحسين عليه السلام عند التوديع في تلك البرهة القصيرة، وتمثّل له كلّ ما تصبّه سحائب المصائب علىٰ هذه الحفنة من اليتامىٰ والنسوة الثواكل اللاتي ما فيهنّ إلّا من فقدت عزيزها، من ولد أو أخ أو زوج، وكم فيهنّ من فقدت كلّ أُولئك وكلّ عميد لها وزعيم!

مشىٰ الدهر يوم الطفّ أعمىٰ فلم يدع
عميداً[1] لها وإلّا وفيه تعثّرا[2]

تمثّل للحسين عليه السلام حالهنّ من ساعته تلك إلىٰ رجوعهنّ إلىٰ المدينة، وأشدّ ما يشجيه ويبكيه ـ لو كان مجال للبكاء ـ ما يمرّ عليهنّ تلك الليلة، ليلة الحادي عشر وصبحها يوم الرحيل، مفكّراً من يراقبهنّ تلك الليلة في تلك الصحراء؟! ومن يحميهنّ؟! ومن يطعمهنّ؟! ومن يسقيهنّ؟!

نعم، وهو سلام الله عليه أمام كلّ هذه الخواطر صابر، وبينما هو

---

(١) في المصدر: عماداً.

(٢) البيت للسيّد حيدر الحلّي من قصيدة بعنوان «مشية الدهر الأعمىٰ»، ومطلعها:

أهاشم لا يوم لك البيض أو ترىٰ جيادك تزجىٰ عارض النقع أغبرا

انظر: ديوان السيّد حيدر الحلّي: ١٨ ـ ٢٠.

يودّع ودائع النبوّة ويأمرهنّ بالصبر[١] إذ استعجله جيش بني أُميّة وناداه مناديهم للنزال، ودخل خيمة النساء فودّعنه ولسان حال كلّ واحدة يقول:

ودّعتُه وودّي لو تودّعني روحُ الحياةِ وأنّي لا أُودّعه[٢]

❊ ❊ ❊

---

(١) رجع الحسين عليه السلام إلىٰ حرمه مرّة أُخرىٰ وودّعهم، وأمرهم بالصبر، ووعدهم الثواب والأجر، وأمرهم بلبس أُزرهم، وقال لهم: استعدوا للبلاء واعلموا أنّ الله حافظكم وحاميكم، وسينجّيكم من شرّ الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلىٰ خير، ويعذّب أعداءكم بأنواع البلاء، ويعوّضكم الله عن هذه البليّة أنواع النعم والكرامة، فلا تشكّوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم؛ ثمّ توجّه إلىٰ قتال أعدائه.

قال عمر بن سعد: ويحكم! اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم! فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتّىٰ تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشكّ سهم بعض أُزر النساء فدهشن وأُرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلىٰ الحسين عليه السلام كيف يصنع؟! فحمل عليهم كالليث الغضبان، فلا يلحق أحداً إلّا يعجّه بسيفه فيقتله والسهام تأخذه من كلّ ناحية وهو يتّقيها بصدره ونحره.

أنظر: مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء ص ٣٢٣ [٢٧٦ ـ ٢٧٨] ط ٢ النجف ـ لسيّدنا الحجّة السيّد عبد الرزّاق المقرّم النجفي ـ، وجلاء العيون ـ للسيّد عبدالله الشبّر رحمه الله ـ ج ٢ ص ٢٠٥ ط النجف. القاضي الطباطبائي.

(٢) ديوان الوأواء الدمشقي

(٨)

هل تكلّم رأس الحسين عليه السلام ؟[١]

حضرة حجّة الإسلام والمسلمين ، وآية الله في العالمين ، الأُستاذ الأكبر ، مولانا الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء دام ظلّه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

المعروض لحضرتكم :

إنّا كثيراً ما نسمع من الذاكرين أنّ رأس الحسين عليه السلام قد تكلّم غير مرّة ، ويروون بذلك أخباراً شتّىٰ وروايات مختلفة ، كخبر زيد بن أرقم وابن وكيدة[٢] ، وغيرهما[٣] .

---

(١) جنّة المأوىٰ : ١٨٥ ـ ١٨٨ .

(٢) سيأتي تخريجه في الصفحة ١٤٩ هـ ١ .

(٣) مثل : سلمة بن كُهَيْل أبو يحيىٰ الحضرمي الكوفي ، قال : رأيت رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما علىٰ القنا وهو يقول : ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ سورة البقرة ٢ : ١٣٧ .

انظر : تاريخ دمشق ٢٢ / ١١٧ رقم ٢٦٢٤ .

ومنهال بن عمرو الأسدي ، قال : أنا والله رأيت رأس الحسين بن علي حين حُمل وأنا بدمشق ، وبين يدي الرأس رجلٌ يقرأ سورة الكهف ، حتّىٰ بلغ قوله تعالىٰ : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجباً ﴾ سورة الكهف ١٨ : ٩ ، قال : فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ، فقال : أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي .

انظر : تاريخ دمشق ٦٠ / ٣٦٩ ـ ٣٧٠ رقم ٧٦٨٨ ، الخرائج والجرائح ـ لقطب ←

ويروون أنّه قد تكلّم في مجلس يزيد..

فهل هذه الأخبار صحيحة أم لا ؟

فإن كانت صحيحة، فهل يمكن أن تقع مثل هذه المعجزة العظيمة الخارقة للعادة بمرأىً من الناس ومسمع، ولا يرتدع منهم أحد ؟ ! أو يرميه بالسحر كما رموا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ؟ ! أو يُغالون فيه كما غالوا في الأمير عليه السلام لمّا ظهرت علىٰ يديهما بعض المعاجز ؟ ! فإنّ التاريخ لم ينقل لنا شيئاً من ذلك !

وهل يجوز أن يكون جميع الّذين شاهدوا ذلك الأمر العظيم معاندين مكابرين ؟ !

هذا ما نرجو الجواب عنه، ولكم جزيل الأجر والثواب.

٢٥ جمادىٰ الأُولىٰ ١٣٤٩ هـ

محلّة السنك ـ بغداد

حسين بن عبّاس

❊ ❊ ❊

الدين الراوندي ـ ٢ / ٥٧٧، سبل الهدىٰ والرشاد ـ للصالحي الدمشقي ـ ١١ / ٧٦، الكواكب الدرّيّة ـ للمناوي ـ ١ / ١٠٣، نور الأبصار ـ للشبلنجي ـ: ١٤٩، إسعاف الراغبين ـ للصبّان ـ: ٢١٤.

الجـواب :

بســـم الله الرحمٰن الرحيـم

ســلام عليك ، ودعاء لك بالســلامة والتوفيق .

نعم ، خبر زيد بن أرقم[1] وآبن وكـيدة مـرويّ كـلاهما فـي بـعض

---

(١) وممّا هو جدير بالذكر أنّه لا بدع في القدرة الإلٰهية والحكمة الربّانية بأن مكّنت رأس الإمام المظلوم ـ الباذل مهجته في سبيل الله ، وإحياء دينه ، وإقامة توحيده ـ من الكلام ؛ للمصالح التي نقصر عن الوصول إلىٰ كنهها ، ولا تحيط عقولنا بجميع جهاتها ، بعد أن أودعت في «الشجرة» قوّة الكلام مع نبيّ الله موسىٰ بن عمران عليه السلام عند المناجاة كما نصّ عليه القرآن ـ سورة [القصص] ٢٨ آية : ٣٠ ـ وهل تقاس الشجرة برأسٍ لمنحورٍ في طاعة الرحمٰن وإطاعة السبحان ؟ ! . . كلّا .

وقد نصّ القرآن الكريم بإنطاق الجوارح وتكلّم الأعضاء من البشر يوم النشور بما فعلته في دار الغرور ، وقال تعالىٰ : ﴿ . . . **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم . . .** ﴾ .

﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء . . .** ﴾ سورة [فصّلت] ٤١ آية : ٢٠ ـ ٢١ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ سورة [النور] ٢٤ آية : ٢٤ .

وحمل هذه الآيات وغيرها علىٰ خلاف ظاهرها من دون حجّة وبرهان ، ممّا لا يقبله العقل والوجدان ، مع تأييد العلم والعيان في هذا الزمان ظواهر تلك الآيات من القرآن ؛ ولذا لا يقدم علىٰ فتح باب التأويل عليها من كان من أهل الإيمان ، اللّهمّ إلّا ممّن ليس هو من أهل العلم والفرقان ، وأن يدّعي التمسّك بالقرآن .

فبعد تصريح القرآن بأنّ الجوارح تنطق وتتكلّم وتشهد يوم الحشر بأعمال

الإنسان ، فلا غرو في تكلّم الرأس الأطهر من سيّد شباب أهل الجنان ، بقدرة الله تعالىٰ وإنطاقه ، وهو بضعة من سيّد الإنس والجانّ وصدور هذه الكرامة الباهرة من ذلك الرأس المطّهر ؛ ليتمّ علىٰ الظالمين الحجّة ، ولكن طبع علىٰ قلوبهم وعلىٰ أبصارهم غشاوة .

﴿ ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم وعلىٰ أبصارهم غشاوة ﴾ سورة [البقرة] ٢ آية : ٧ .

ولرئيس المحدّثين الشيخ الصدوق ﷺ كلمات نيّرة صدع بها في جواب السلطان ركن الدولة ﷺ لها تعلّق تامٌّ بهذا الموضوع ، لا بأس بنقلها لتزيد بصيرة القارئ الكريم .

وقد نقل في ترجمة الشيخ الصدوق ﷺ «أنّ السلطان ركن الدولة جلس يوماً علىٰ عرش السلطنة وشرع علىٰ الإطراء والثناء علىٰ الشيخ الصدوق ﷺ ، لأنه رأىٰ قبل ذلك اليوم بيانات الشيخ ﷺ وتكلّماته المذهبيّة علىٰ ضوء العلم والمنطق ، فاعترض أحد الحضّار علىٰ السلطان : إنّ اعتقاد الشيخ ﷺ علىٰ أنّ رأس سيّد الشهداء يوم حمل علىٰ القناة كان يقرأ سورة الكهف ، فقال الملك : لم أسمع منه هذه المقالة ، ولكنّي أسأله ؛ فكتب إليه يستفتيه ويسأله عن هذا المطلب ، فكتب الشيخ الصدوق ﷺ في الجواب :

إنّ هذه الرواية محكية ممّن سمع من رأسه المطهّر أنّه يقرأ عدّة آيات من سورة الكهف ، إلّا أنّ ذلك غير منقول من أحد الأئمّة المعصومين عليهم السلام ، ومع ذلك لا ننكره ، بل هو صواب ، لأنّا إذا جوّزنا في يوم الحشر تكلّم أيدي الظالمين والعاصين وأرجلهم كما نطق به القرآن وقال تعالىٰ : ﴿ اليوم نختم علىٰ أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ سورة [يٓس] ٣٦ آية : ٦٥ ، فكذا يجوز أن ينطق رأس الحسين عليه السلام ويتلو القرآن ، لكونه خليفة الله وإمام المسلمين ، ومن شباب أهل الجنّة وسيّدهم ، وسبط النبيّ صلى الله عليه وآله ، وابن وصيّه ، وأُمّه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين صلوات الله عليهم أجمعين ، بل إنكار هذا المطلب يؤول في الحقيقة إلىٰ إنكار قدرة الله تعالىٰ وفضل الرسول صلى الله عليه وآله .

والعجب ممّن ينكر صدور أمثال هذه الأُمور ممّن بكىٰ عليه الملائك في مصيبته ، وتقاطر الدم من السماوات في رزيّته ، وناح عليه الجنُ بأصواته !

الكتب المعتبرة[١] ، والمراد هنا الاعتبار التاريخي لا الاعتبار الذي عليه المدار في الأخبار التي يستنبط منها الأحكام الشرعيّة من الصحيح والحسن والموثّق[٢] .

⇐ ومن أنكر هذه الأخبار وخوارق العادات مع كونها صحيحة ، فيجوز له إنكار جميع الشرائع والمعجزات الصادرة من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام ، بل وجميع الضروريات الدينية والدنيويّة ، فإنّها أيضاً قويّة السند صحيحة الطرق قد حصل لنا العلم بمضامينها» [أنظر : مجالس المؤمنين ، المجلس الخامس ص ١٩٧ ـ ٢٠٠] .

أقول : وليعلم بعض شباب العصر الّذين لم يطّلعوا علىٰ حقائق القرآن ، ولم يخوضوا في المطالب الدينيّة أنّ إنكار تكلّم رأس سيّد الشهداء عليه السلام علىٰ القناة وصدور بعض خوارق العادات من ذلك الرأس المطهّر ، وكذا إنكار بعض ما نقل من طريق الآحاد عن الصدّيقة الطاهرة عليها السلام أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام من الأعمال والكرامات الخارقة للعادة ، وإن لم يخرج المنكر عن مذهب التشيّع وربقة الإسلام ، ولكنّ هذا الإنكار وسلوك هذه الطريق الوعر يفضي بالأخرة إلىٰ إنكار المتواترات والضروريات ويتورّط الإنسان في المسالك الوعرة والمهالك المظلمة والغياهب المدهشة ، من إنكار المعاد وحشر الأجساد ، وأمثال ذلك .

ويعلموا يقيناً أنّ شيوع إنكار هذه المنقولات بطريق الآحاد بينهم ليس إلّا من ناحية أعداء الدين وخصماء الإسلام ؛ للإخلال تدريجاً إلىٰ الاعتقاديات الضرورية ومحو الأساسيات عن قلوبهم وأذهانهم ونسفها ؛ ليصلوا إلىٰ مقاصدهم المشومة ، ومنويّاتهم الممقوتة وتسلّطوا علىٰ شؤون الأمّة كلّها .

ألا قاتل الله أذناب الاستعمار وقد تداخلوا في جميع شؤوننا وأُمورنا وأفسدوا أخلاق الأمّة ؛ لاستجلاب ميول أسيادهم أئمّة الكفر والطغيان وأنبياء الشر وأعوان الشيطان ؛ خذلهم الله . القاضي الطباطبائي .

(١) أنظر : الإرشاد ـ للمفيد ـ ٢/١١٧ ، دلائل الإمامة ـ لمحمّد بن جرير الطبري ـ : ٧٨ ، مناقب آل أبي طالب ـ لابن شهرآشوب ـ ٤/٦٨ ، بحار الأنوار ٤٥/١٢١ .

(٢) أنظر في معرفة معاني هذه الاصطلاحات كتاب «مقباس الهداية في علم الدراية» للمجتهد الأكبر العلّامة المامقاني رحمه الله ، المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ ، وهو أبسط كتاب ⇒

بل هو من قبيل قولنا: تاريخ الطبري وتاريخ آبن الأثير معتبران، ويكفي في هذا المعنىٰ من الاعتبار للخبر أن ينقله مثل صاحب «البحار»، والطريحي في «المنتخب»، فضلاً عمّا رواه السيّد ابن طاووس في «اللهوف» أو الشيخ المفيد في «الإرشاد» ونظائرهم.

والظاهر أنّ مثل هذه الكرامات ـ ولا تسمّىٰ معجزات ـ علىٰ تقدير صحّة وقوعها، ما وقعت بمرأىً من عامّة الناس، وإنّما هي خصوصيّة لبعض الأفراد الناقلين لها؛ لحكمة هناك، إمّا مجهولة لنا أو معلومة.

وعلىٰ تقدير وقوع شيء من ذلك بين أُمّة من الناس وجمهرة من البشر[1]، فلا يلزم من ذلك أن يرتدعوا، وكم وقعت من الأنبياء

وأنفعه في علم دراية الحديث، فراجع [ج ١/١٤٦ و ١٦٠ و ١٦٨، وفيه:

الصحيح: ما اتّصل سنده إلىٰ المعصوم عليه‌السلام بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات.

الحسن: ما اتّصل سنده إلىٰ المعصوم عليه‌السلام بإمامي ممدوح مدحاً مقبولاً معتدّاً به، غير معارض بذمّ مَن نصّ علىٰ عدالته.

الموثّق: ما اتّصل سنده إلىٰ المعصوم عليه‌السلام بمن نصّ الأصحاب علىٰ توثيقه، مع فساد عقيدته]. القاضي الطباطبائي.

(١) كما يظهر للقارئ الفطن بعد الفحص والتأمّل في معجزات رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنّ بعضاً نادراً منها لم يكن ظاهراً لعموم الناس ومرآهم في كلّ الأوقات، كتظليل الغمامة علىٰ رأسه الشريف، فإنّها كانت ظاهرة لبعض الناس دون بعض، من غير فرق قبل البعثة وبعدها.

ويظهر ما ادّعيناه واضحاً مكشوفاً لمن تتبّع وتأمّل معجزات رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وسيرته.

آنظر أقلّاً إلىٰ قصّة الراهب «بحيرا» في «بصرىٰ» في مناقب ابن شهرآشوب رحمه‌الله ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧ ط النجف [١/٦٦].

قال الراهب: إنّي لأرىٰ ما لا ترون وأعلم ما لا تعلمون... ولقد رأيت له وقد

معجزات بين أُممهم فلم يرتدعوا حتّىٰ أصابهم العذاب، وعدم ارتداعهم وإصرارهم ليس بأعظم من إصرارهم علىٰ القتل من غير جرم ولا جناية.

وقد ورد في الأخبار المعتبرة، أنّ رأس يحيىٰ بن زكريّا تكلّم بعد قتله مع الجبّار الذي أمر بقتله وقال له: «إنّها لا تحلّ لك» عن المرأة التي تزوّجها وأمرته بقتل يحيىٰ[1]، فلم

أقبل نوراً أمامه ما بين السماء والأرض، ولقد رأيت رجالاً في أيديهم مراوح الياقوت أو الزبرجد يروّحونه وآخرين ينثرون عليه أنواع الفواكه، ثمّ هذه السحابة لا تفارقه... إلىٰ آخره.

يظهر من ملاحظتها أنّ هذه الخوارق العادات كان يراها الراهب وأبو طالب عليه السلام دون غيرهما من قريش، ثمّ شرع الراهب يخبرهم بما رآه.

والظاهر أنّ من هذا القبيل عدم الظلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه أيضاً لم يكن بمرأىً من عامّة الناس في عامّة الأوقات.

وغير خفيّ أنّ خوارق العادات الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل البعثة تسمّىٰ «إرهاصات»، وصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله إرهاصات كثيرة ذكر المؤرّخ الشهير فريد وجدي المصري مقداراً منها في «دائرة المعارف» في مادّة «رهص» ج ٤ ص ٣٠٠ مصر، فراجع.

وممّا ينبغي لفت النظر إليه هو: أنّ الرأس الأقدس قرأ القرآن في حشد من الناس أيضاً، كما نقل أنّه حينما نصب في موضع الصيارفة، وهنا لغط المارّة وضوضاء المتعاملين، فأراد سيّد الشهداء عليه السلام توجيه النفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته فتنحنح الرأس الشريف تنحنحاً عالياً، فاتّجهت إليه الناس وآعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتنحنح قبل يوم الحسين عليه السلام، فعندها قرأ سورة الكهف إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **إنّهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدىً ولا تزد الظالمين إلّا ضلالاً** ﴾.

آنظر: مقتل الحسين ـ للمقرّم ـ ص ٤٠٢ ط ٢ النجف [ص ٣٣٢]. القاضي الطباطبائي.

(١) آنظر: تفسير الطبري ٨/ ٣١، عرائس المجالس ـ للثعلبي ـ: ٣٧٩ ـ ٣٨٠، تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٣.

يرتدع[١] .

وسرّ ذلك كلّه أنّ الحرص والشهوة والطمع إذا استحكم في النفس وصار خلقاً لها وطبعاً فيها لم يكن شيء من العبر والعظات مؤثّراً فيها ، وحبّ الشيء يعمي ويصمّ[٢] .

إذا شاهدت النفس من تلك الغرائب شيئاً انصرفت عن التفكّر فيه وترتيب الأثر عليه ، أو تصرّفت فيه بالتأويلات وصرفته عن وجه الحقيقة ، وإنّ أُمّة تقتل عترة نبيّها وتسبي عياله لا تستبعد عليها جحود معجزة له أو كرامة .

ولو أنعمت[٣] النظر في رجال عصرنا الحاضر وما يرتكبون من الجناية علىٰ هذه الأُمّة المستكينة ، وما يقترفون من الخيانة والغدر لحقوقها حتّىٰ أسقطوها في هوّة الإفلاس والفقر المدقع والهلاك المؤبّد ، لوجدت من أبناء عصرك وسماسرة[٤] مصرك ، المتربّعين علىٰ دست الحكم بقوّة

---

(١) كما نقل عن الحجّاج بن يوسف الثقفي بعدما قتل التابعي الكبير ، جهبذ العلماء ، وعالم الشهداء ، ومن لم يكن علىٰ الأرض أحد إلّا وهو محتاج إلىٰ علمه ، أعني : سعيد بن جبير ﷺ وسقط رأسه الشريف إلىٰ الأرض قال : «لا إلٰه إلّا الله» [أنظر : تاريخ الطبري ٤ / ٢٤ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٢٨١ ، حلية الأولياء ٤ / ٢٩١] .
فهل ارتدع ذلك الظالم الغشوم ؟ ! كلّا وكلّا !
قتله سنة ٩٥ هـ بواسط ، ودفن في ظاهرها ، وقبره بها . القاضي الطباطبائي .

(٢) مأخوذ من قوله ﷺ : «حبّك الشيء يعمي ويصمّ» .
أنظر : مسند أحمد ٥ / ١٩٤ و ج ٦ / ٤٥٠ ، سنن أبي داود ٤ / ٣٣٦ ح ٥١٣٠ ، تاريخ الخطيب ٣ / ١١٧ ، جمهرة الأمثال ١ / ٣٥٦ .

(٣) أَنْعَمَ النظر في الشيء : إذا أطال الفكرة فيه .
أنظر : لسان العرب ١٤ / ٢١٣ مادّة «نعم» .

(٤) السِّمْسار ـ والجمع : السَّماسِرَة ـ : فارسية معرَّبة ، وهو الذي يبيع البُرَّ

الظالم الغاشم وعدوّ العرب والإسلام، ما هو أشنع وأفظع ممّا يحدّثنا التأريخ عنه من أبناء العصور الغابرة، وأبناء الملوك الجائرة، فلا تستبعد شيئاً بعد الذي تراه بعينك في زمانك وأوطانك.

والسلام.

٢٩ ج ١ سنة ١٣٤٩

* * *

للناس؛ وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سمّاهم التُّجّار بعدما كانوا يُعرفون بالسماسرة، والمصدر: السَّمْسَرَةُ.

وقيل: السِّمْسارُ هو القَيِّمُ بالأمر الحافظُ له.

انظر: لسان العرب ٦ / ٣٦١ مادّة «سمسر».

وهي هنا كناية عن الّذين يبيعون أوطانهم للأجنبي.

(٩)

سؤال عن تضحية أصحاب الحسين عليه السلام [١]

قال الله تعالىٰ: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[٢].

سماحة العلّامة المحقّق والمصلح الأكبر، مولانا ومقتدانا الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء دام ظلّه.

هذا السؤال لا أرىٰ جواباً شافياً إلّا ما يخطّه قلمكم المبارك، فأرجو الجواب:

ذكر المؤرّخون وأهل السير بأنّ الحسين عليه السلام أحلّ أصحابه من بيعته يوم كربلاء وأذن لهم بالانصراف وقد أبوا إلّا مواساته.

فإن صحّ ذلك، فكيف يحلّهم من بيعته، والحال أنّه خلاف الضرورة من دين المسلمين: من مات وليس في عنقه بيعة لإمام زمانه مات ميتة جاهليّة[٣]، فكيف يأمرهم عليه السلام بذلك، ويقول لهم: أنتم في حلّ من بيعتي؛ مع ما يترتّب عليه من المحذور، وهو ميتة الكفر؟!

ثمّ أليس الجهاد معه واجب؟! وحفظه عليه السلام علىٰ الأمّة واجب؟! فكيف يأمرهم بترك الواجب وقد صمّموا علىٰ الجهاد والدفاع عنه حتّىٰ الممات؟!

---

(١) جنّة المأوىٰ: ١٩١ ـ ١٩٥.

(٢) سورة [النحل] ١٦ آية: ٤٣.

(٣) أنظر: مسند أحمد ٤/٩٦، مسند أبي يعلىٰ ١٣/٣٦٦ ح ٧٣٧٥، المعجم الكبير ١٩/٣٨٨ ح ٩١٠، شرح المقاصد ٥/٢٣٩، شرح العقائد النسفية: ٢٣٢.

ولمّا كان أمره واجب الطاعة ، فكيف لم يتفرّقوا عنه حينما أمرهم بالتفرّق عنه ؟ ! فبقاؤهم معه مع أمره بالتفرّق عنه معصية وحاشاهم المخالفة لأمر إمامهم ونهيه وهم العالمون بأنّ طاعته واجبة !

وإن قيل : إنّه أراد اختبارهم وإقامة الحجّة عليهم .

فيقال : هذا لا يصحّ ؛ لأنّ الاختبار إنّما يصحّ مع مشكوك الحال أو معلوم النفاق عند المختبِر ـ بالكسر ـ ؛ لتتمّ الحجّة عليه في ذلك الحال ، أمّا هؤلاء الصفوة والعلماء الأبرار ، فإنّ ذلك لهم من قبيل تحصيل الحاصل ؛ لأنّهم رضوان الله عليهم بأعلىٰ مراتب الإيمان والتقوىٰ ، وأنّهم لم يطلّقوا حلائلهم ولم يُعرِضوا عن زهرة دنياهم ، ويناصروا الحسين عليه السلام ، إلّا وهم علىٰ بصيرة وعلم من أنّه عليه السلام إمام تجب طاعته وتحرم معصيته ، فكيف يختبرهم بعد هذا الإخلاص والمعرفة الثابتة بوجوب طاعته ؟ !

١٨ / ١ / ١٩٥٤م

محمّد حسن علي

❊ ❊ ❊

الجواب :

إنّ فاجعة الطفّ قضيّة، هي الوحيدة من نوعها، واليتيمة في بابها، خرجت عن جميع القواميس والنواميس، ولا ينطبق عليها حكم من أحكام الشرائع السماوية ولا الأرضيّة، لا الدينيّة ولا المدنيّة، ولا ينفذ في فولاذها الحديدي «لماذا» و «لأنّ».

قل لي بربّك: أيّ حرب في العالم برز فيها سبعون نفر إزاء سبعين ألف[١]، أُولئك مقسّمة أفكارهم، موزّعة ألبابهم بعيالهم وأطفالهم المعرّضة للنهب والسلب، وهؤلاء وادعة نفوسهم، مجتمعة أفكارهم حيث لا عيال ولا أطفال ولا جوع ولا عطش؟!

قل لي بربّك: أيّ حرب يبرز فيها غلام لم يبلغ الحلم، ولم يجر عليه قلم التكليف بصوم وصلاة فضلاً عن الجهاد، فيأذن له عمّه[٢] في

(١) هذا الكلام من شيخنا الأُستاذ رحمه الله من باب ذِكر التمثيل للتكثير، فإنّه غير خفي علىٰ الخبير أنّ كلمة «سبعون» أو «سبعين ألف» جارية في كلام العرب مجرىٰ التمثيل للتكثير كما صرّح به العلّامة الزمخشري في «الكشّاف»؛ أنظر: ج ٢ / ٢٣١ ط ٢، مصر، طبعة مطبعة الاستقامة [٢ / ٢٠٥]، وجوامع الجامع ص ١٨٣، (أُفست)، تبريز [٢ / ٨٣]. القاضي الطباطبائي.

(٢) كقاسم بن الحسن عليه السلام، فقد خرج وهو غلام لم يبلغ الحلم، فلمّا نظر إليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكىٰ، ثمّ استأذن فأذِن له، فبرز كان وجهه شقّة ـ قمر وبيده السيف، وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان، فمشىٰ يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرىٰ، وأنفَ ابنُ النبيّ صلى الله عليه وآله أن يحتفي في الميدان، فوقف

لي

المبارزة ويتقدّم إلىٰ سبعين ألف من الأبطال ، لامعة سيوفهم مشرعة رماحهم ؟ !

أفما كان اللازم بحكم الشرائع السماوية أن يقول له عمّه : أنت غير مكلّف بجهاد ولا دفاع ، ويجب علينا أن ندفع عنك لا أن تدافع عنّا ؟ !

فكيف يأذن له عمّه العطوف الرؤوف حتّىٰ يقتل ويصرع نصب عينيه ، ثمّ يبرز له أخ أصغر منه غلام[1] ، بل دون الغلام في أوّل الصبا وغضارة[2] العمر وطراوة الشباب ، فيقتحم الميدان الذي ترتجف من رؤيته العقول والأبدان ، فيضربه أحد العتاة من عسكر العدوّ علىٰ رأسه ضربة صرعته ، وضربة أُخرىٰ علىٰ يده فأبانها من المرفق وبقيت معلّقة ، فنادىٰ : واعمّاه ! وعمّه ينظر إليه فيسرع إليه قائلاً : عزّ علىٰ عمّك أن تدعوه

ﻫ يشدّ شسع نعله وهو لا يزن الحرب إلّا بمثله ، غير مكترث بالجمع ولا مبال بالأُلوف .

قال العلّامة السيّد مير علي أبو طبيخ ﷺ :

أهوىٰ يشدّ حذاءه	والحرب مشرعة لأجله
ليسوم هاماً إن غلت	هيجاؤها بشراك نعله
متقلّداً صمصامه	متفيّئاً بظلال نصله
لا تعجبنّ لفعله	فالفرع مرتهنٌ بأصله
السُّحب يخلفُها الحَيا	والليثُ منظورٌ بشبله

وكان خرج قبله أخوه لأُمّه وأبيه أبو بكر بن الحسن عليه‌السلام ، وهو عبد الله الأكبر ، وأُمّه أُمّ ولد يقال لها : رملة ، فقاتل حتّىٰ قتل رضوان الله عليه .

أنظر : مقتل الحسين ـ للمقرّم ـ ص ٣٦٠ ، ط ٢ ، النجف [٢٦٤ ـ ٢٦٥] . القاضي الطباطبائي .

(١) هو عبد الله بن الحسن عليه‌السلام ، كان له إحدىٰ عشرة سنة . القاضي الطباطبائي .

(٢) الغضير : الناعم من كلّ شيء ، والرطب الطري .

أنظر : لسان العرب ١٠ / ٨٠ مادّة «غضر» .

فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا يغني عنك ، هذا يوم كثر واتره وقلّ ناصره ؛ ويبقىٰ الغلام يتفحّص برجليه حتّىٰ يموت ؟ !

قل لي بربّك : أيّ حرب برزت فيه ربّات الحجال إلىٰ القتال وآشتبكت مع الرجال ، وحملت علىٰ الأبطال بعمودِ الخيمة[1] ؟ !

قل لي بربّك : أيّ حرب منع فيها العدوّ الماء حتّىٰ عن النساء والأطفال ، فإنّ الطاغي معاوية[2] وإن سبق إلىٰ ذلك في صفّين ، ولكن لم يكن في معسكر أمير المؤمنين عليه السلام سوىٰ الرجال ؟ !

قل لي بربّك : أيّ حرب حُملت الرؤوس فيها علىٰ أطراف الرماح يطاف بها من بلد إلىٰ بلد ، فإنّ الجبت والطاغوت معاوية وإن حُمل إليه رأس الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي ـ وهو أوّل رأس[3] حمل في الإسلام ـ ولكن ما حُمل علىٰ الرمح ، ولا طيف به في البلدان ؟ !

---

(١) كما فعلت أُمُّ وهب رضوان الله عليها .

(٢) آنظر : إلىٰ مخازي ابن آكلة الأكباد وصحائف تاريخه السوداء في الجزء العاشر من الأثر الخالد «الغدير» للعلّامة الأميني . القاضي الطباطبائي .

(٣) عمرو بن الحمق الخزاعي ، صحابي جليل في غاية الجلالة والوثاقة ، من أصفياء أمير المؤمنين عليه السلام وخواصّه وصاحب أسراره ، سقىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال صلى الله عليه وآله : اللّهمّ أمتعه بشبابه ؛ فمرّت عليه ثمانون سنة لا ترىٰ في لحيته شعرة بيضاء ، علّمه أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم ، وقال سيّد الشهداء عليه السلام في كتابه إلىٰ معاوية : أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفر لونه ؟ ! ورأسه أوّل رأس حمل في الإسلام وشهروه علىٰ قناة إلىٰ معاوية .

والحَمِق ـ بالحاء المهملة المفتوحة والميم المكسورة والقاف ـ : خفيف اللحية .

آنظر : تنقيح المقال [٢ / ٣٢٨] ، أُسد الغابة [٣ / ٧١٥] ، الغدير ج ١١ [١١ / ٥٦] ، رجال الكشّي [١ / ٢٥٠ رقم ٩٦] . القاضي الطباطبائي .

قل لي بربّك : أيّ حرب في الإسلام ـ بل وفي الجاهليّة ـ حُملت فيها المخدّرات المصونات مع أطفالهنّ مسبيّات بتلك الصورة المهولة من بلد إلىٰ بلد ؟!

ولو أردنا أن نحصي ونستقصي الفظائع التي اقترفتها يد الإثم والعدوان في حادثة الطفّ وذيولها ، تلك الفظائع التي خرقت النواميس ومزقت القواميس ، ولا ينطبق عليها أيّ حكم من الأحكام ، ولا تسيغها شريعة من الشرائع ، لاقتضىٰ ذلك تأليف كتاب يشجبك[1] ويشجيك ، ويضحكك ويبكيك .

أمّا ما أشكل عليك من جعل الحسين سلام الله عليه أصحابه في حلٍّ من بيعته ؛ فليس محلّ العجب منه ، وموضع السؤال وعقدة الإشكال معكوسة ، وهي أنّه سلام الله عليه كيف أباح لهم الجهاد معه وهو يعلم ـ كما قال لهم ـ أنّ القوم إنّما يطلبون شخصه الكريم فقط ، وأنّهم لو ظفروا به لم يكن لهم حاجة بغيره ، ويعلم هو ـ كما يعلم كلّ واحد منهم ـ أنّهم لا يستطيعون دفع القتل عنه مهما جاهدوا وآجتهدوا !

إذاً ، ألا يكون جهادهم معه من العبث وإلقاء النفس في التهلكة بغير فائدة ؟! فكيف رضي سلام الله عليه منهم بذلك ؟!

وهذا هو السرّ الغامض الذي يحتاج إلىٰ البحث والنظر ، لا ما ذكرته من جعلهم في حلّ من بيعته ، وليس معنىٰ ذلك أنّه أسقط عنهم التديّن

(١) شَجَبَ ـ بالفتح ـ يَشْجُبُ ـ بالضمّ ـ شُجُوباً ، وشَجِبَ ـ بالكسر ـ يَشْجَبُ شَجَباً ، فهو شاجِبٌ وشَجِبٌ : حَزِنَ أو هَلَكَ ، وشَجَبَهُ يَشْجُبُهُ شَجْباً : حَزَنَه .
آنظر : لسان العرب ٧ / ٣١ مادّة « شجب » .

بإمامته التي جعلها الله طوقاً في عنق كلّ مكلّف يستحيل نزعه وخلعه، وليس هو المقصود من جعلهم في حلّ من بيعته كما توهّمت.

نعم، العقدة التي لا تحلّ، ولعلّ سرّها الغامض لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم هو هذه الناحية..

فإنّ المعلوم بضرورة العقل والنقل، وفي عامّة الشرائع والأديان، أنّ الجهاد إنّما يجب أو يجوز مع احتمال السلامة ورجاء الظفر والغلبة، أمّا مع اليقين بالهلكة والمغلوبيّة فهو إتلاف للنفوس بغير فائدة[1].

فأصحاب الحسين عليه السلام لو تركوا اقتحام هذه المعركة وتباعدوا عنها لم يكن العدوّ يتعقّبهم، وليس له أيّ غرض بهم، ولمّا دخلوا في الحرب لم يحفظوا الحسين عليه السلام ولم يحفظوا أنفسهم، فكان اللازم البقيا علىٰ أنفسهم، ولعلّ بقاؤهم وسلامتهم أنفع للحسين عليه السلام وعياله من قتلهم واستئصالهم.

---

(١) إنّ الحسين عليه السلام إمام معصوم وإنسان حكيم، فلا يخفىٰ عليه الصواب، ويتجلّىٰ إصابة الحسين عليه السلام في مواقفه علىٰ تضحيتهم معه بعد تخييرهم بالرجوع إلىٰ الرأي بالحديث في العمل السياسي.

وخلاصته أنّ التاريخ من صنع الإنسان أفراداً أو جماعات، ولا تجري حوادث التاريخ بصورة عفوية آنية وبدون ارتباط بالحوادث السابقة، فحوادث التاريخ مترابطة، ولذلك لا بُدّ في العمل السياسي لأجل الوصول لغاية معينة من العمل المستمرّ والجهاد المستمرّ، فالتضحية في سبيل الحقّ علىٰ اختلافها وإن لم تكن ذات فائدة آنية فإنّها تثمر في المستقبل، خصوصاً الشهادة في سبيل الحقّ، فإنّها تنبّه الأفكار وتهيّج النفوس لطلب الثأر ومواصلة الكفاح للوصول إلىٰ الهدف والغاية.

فالمهمّ في العمل السياسي أن تكون الغاية شريفة والوسيلة شريفة مع المثابرة والاستمرار وقوّة الإيمان. القاضي الطباطبائي.

هذا هو الأمر المشكل والسرّ الغامض، لا جَعْلَهُمْ في حلّ من البيعة الذي هو بمعنى إسقاط الجهاد عنهم، أو الدفاع الذي هو ساقط بطبعه وبذاته.

والله هو العالم بأسرار أوليائه وحكمة أحكامه وقضائه.

وله الحمد.

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

* * *

الفهارس العامّـة

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

* * *

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

❊ ❊ ❊

٣ ـ فهرس الأعلام

* * *

٤ ـ فهرس أعلام النساء

*   *   *

٥ ـ فهرس الأشعار

عجز البيت	القائل	الأبيات	الصفحة
اللابسات من الحرير جلابيا	المتنبّي	٤	١٣٦
وللركب قصدٌ دون ذاك ومطلبُ	هاشم الكعبي	٣	٦٣
فلي فيه معنىً شاهدٌ بأُبوّتي	ابن الفارض		١١٩
كلّما مرّ الزمانُ ذِكرهُ يتجدّد	ـــ		٨٥
ملقىً عليه غيرَ ذي مَهْدِ	حسّان بن ثابت	٢	٦٢
بين ذراعي وجبهة الأسدِ	الفرزدق		٦٠
جيادك تزجى عارض النقع أغبرا	حيدر الحلّي	٢	١٤٣
إن صحَّ أنَّ الليلَ كافِر	بهاء الدين زهير		٣٤
رسوم بأعلىٰ الرقمتين دوائرُ	جواد بدقت	٣	٣٧ ـ ٣٨
إذا عُدَّ نسلٌ لا يبورُ ولا يخزىٰ	شيخٌ جعفي		٦٦
روح الحياة وأنّي لا أودّعه	الوأواء الدمشقي		١٤٤
روحي فداك عرفت أم لم تعرفِ	ابن الفارض	٢	١٢٦
يفنىٰ الزمانُ وفيه ما لم يوصف	ابن الفارض		١٤٠
ذاق كأس المنون عبد الباقي	عبد الباقي العمري		١١٩
وتحكم فالحسن قد أعطاكا	ابن الفارض	٤	١٣٧
إنّما تندبُ أمراً قد فُعِل	عبد الله بن الزِّبعرىٰ	٨	٦٩
من بني أحمد ما كان فعل			٧٠
خبر جاء ولا وحيٌ نزل			٧٠
جزع الخزرج من وقع الأسل			٧٦
من ابن زياد العبدِ ذي الحسب الوغلِ	يحيىٰ بن الحكم	٢	٦٧
والحرب مشرعة لأجله	مير علي أبو طبيخ	٥	١٥٨

* * *

٦ ـ فهرس مصادر ومراجع التحقيق

١ ـ في البدء : *القرآن الكريم* .
٢ ـ *آراء أهل المدينة الفاضلة ومضادّاتها* ، لمحمّد بن محمّد الفارابي ، تحقيق علي بو ملحم ، نشر دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٩٥ .
٣ ـ *الإتحاف بحبّ الأشراف* ، لعبد الله بن محمّد بن عامر الشبراوي ، نشر المطبعة الأدبية ، مصر .
٤ ـ *الاحتجاج* ، لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٢٠) ، تحقيق إبراهيم البهادري وآخرين ، نشر دار الأسوة ، قم ١٤١٦ .
٥ ـ *الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان* ، لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤٠٧ .
٦ ـ *أحكام القرآن* ، لأبي بكر أحمد بن علي الجصّاص الرازي (ت ٥٠٣) ، تحقيق صدقي محمّد جميل ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .
٧ ـ *الإحكام في أصول الأحكام* ، لعلي بن أبي علي الآمدي (ت ٦٣١) ، تحقيق إبراهيم العجوز ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
٨ ـ *اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)* ، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) ، تحقيق مهدي الرجائي ، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ١٤٠٤ .
٩ ـ *أدب الطف* ، لجواد شُبّر ، نشر مؤسّسة التاريخ العربي ، بيروت ١٤٢٢ .
١٠ ـ *الأدب المفرد* ، لمحمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ، تحقيق خالد عبد الرحمٰن العك ، نشر دار المعرفة ، بيروت ١٤١٦ .
١١ ـ *الإرشاد* ، للشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣) ، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، نشر دار المفيد ، بيروت .
١٢ ـ *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* ، ليوسف بن عبد الله بن محمّد ابن عبد البرّ (ت ٤٦٣) ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .
١٣ ـ *أُسد الغابة* ، لعزّ الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمّد الجزري (ت

٦٣٠) ، تحقيق ونشر دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩ .
١٤ ـ *الأسفار الأربعة (الحكمة المتعالية في . . .)* ، لصدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨١ .
١٥ ـ *الإصابة* ، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢) ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .
١٦ ـ *الأعلام* ، لخير الدين الزركلي ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٧ .
١٧ ـ *الأغاني* ، لأبي الفرج علي بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٥٦) ، شرح عبد علي مهنّا وسمير جابر ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ .
١٨ ـ *إقناع اللائم على إقامة المآتم* ، لمحسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١) ، تحقيق محمود البدري ، نشر مؤسّسة المعارف الإسلامية ، قم ١٤١٨ .
١٩ ـ *الأمالي* ، للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي الصدوق (ت ٣٨١) ، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة ، طهران ١٤١٧ .
٢٠ ـ *الأمالي* ، للشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣) ، نشر دار المفيد ، بيروت ١٤١٤ .
٢١ ـ *الإمامة والسياسة* ، لابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦) ، تحقيق علي شيري ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤١٠ .
٢٢ ـ *إملاء ما منّ به الرحمٰن* ، لعبدالله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .
٢٣ ـ *أنساب الأشراف* ، لأحمد بن يحيىٰ البلاذري (ت ٢٧٩) ، تحقيق سهيل زكّار وآخرين ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٧ .
٢٤ ـ *الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة* ، لعبدالله شُبّر ، نشر مؤسّسة الوفاء ، بيروت ١٤٠٣ .
٢٥ ـ *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون* ، لإسماعيل البغدادي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣ .
٢٦ ـ *بحار الأنوار* ، لمحمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (ت ١١١٠) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٣ .

٢٧ ـ *البدء والتاريخ* ، لأحمد بن زيد البلخي (ت ٣٢٢) ، تحقيق خليل عمران المنصور ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ .

٢٨ ـ *بداية الحكمة ونهاية الحكمة* ، لمحمّد حسين الطباطبائي (ت) ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ١٤٠٥ .

٢٩ ـ *البداية والنهاية* ، لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧١) ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

٣٠ ـ *بغية الطلب في تاريخ حلب* ، لابن العديم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠) ، تحقيق سهيل زكّار ، نشر دار الفكر ، بيروت .

٣١ ـ *بلاغات النساء* ، لابن طيفور أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠) ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، نشر دار الفضيلة ، القاهرة .

٣٢ ـ *تاج العروس* ، لمحمّد مرتضىٰ الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥) ، تحقيق علي شيري ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٣٣ ـ *تاريخ ابن خلدون* ، لابن خلدون عبد الرحمٰن بن محمّد الحضرمي (ت ٨٠٨) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣ .

٣٤ ـ *تاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبري)* ، لمحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٥ ـ *تاريخ الخلفاء* ، لجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٥ .

٣٦ ـ *تاريخ البخاري* ، لأبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت ٢٥٦) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٧ ـ *تاريخ بغداد* ، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٨ ـ *تاريخ خليفة بن خيّاط* ، لخليفة بن خيّاط العصفري البصري (ت ٢٤٠) ، تحقيق سهيل زكّار ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٣٩ ـ *تاريخ الخميس* ، لحسين بن محمّد بن الحسن الدياربكري (ت ٩٦٦) ، نشر مؤسّسة شعبان ، بيروت .

٤٠ ـ *تاريخ دمشق* ، لأبي قاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١) ، تحقيق أبي سعيد عمر بن غرامة العَمري ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٥ .
٤١ ـ *تاريخ المدينة المنورة* ، لعمر بن شبّة النميري البصري (ت ٢٦٢) ، تحقيق فهيم محمّد شلتوت .
٤٢ ـ *تاريخ اليعقوبي* ، لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب (ت ٢٩٢) ، تحقيق عبد الأمير مهنّا ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤١٣ .
٤٣ ـ *التحصيل* ، لبهمنيار بن المرزبان ، تحقيق مرتضىٰ مطهّري ، نشر جامعة طهران ، طهران ١٣٧٥ هـ ش .
٤٤ ـ *تحف العقول عن آل الرسول* ، للحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت ٣٨١) ، تحقيق حسين الأعلمي ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤٢٣ .
٤٥ ـ تذكرة *الخواصّ* ، ليوسف بن فرغلي البغدادي ، سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) ، نشر مكتبة الشريف الرضي ، قم ١٤١٨ .
٤٦ ـ *تذكرة الموضوعات* ، لمحمّد طاهر بن علي الهندي الفتني (ت ٩٨٦) ، نشر أمين دمج ، بيروت .
٤٧ ـ *ترجمة الإمام الحسين* عليه السلام ، لابن سعد محمّد بن سعد الهاشمي (ت ٢٣٠) ، تحقيق عبد العزيز الطباطبائي ، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ١٤١٦ .
٤٨ ـ *الترغيب والترهيب* ، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦) ، نشر دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٤١١ .
٤٩ ـ *التعريفات* ، لعلي بن محمّد الجرجاني (ت ٨١٢) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦ .
٥٠ ـ تفسير *ابن كثير* ، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤) ، نشر دار الجيل ، بيروت .
٥١ ـ *تفسير البحر المحيط* ، لأبي حيّان محمّد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣ .
٥٢ ـ *تفسير البيضاوي* ، لعبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٧٩١) ، نشر دار الكتب

العلمية ، بيروت ١٤٠٨ .

٥٣ ـ *تفسير التسهيل لعلوم التنزيل* ، لمحمّد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت ٢٩٢) ، نشر دار الفكر .

٥٤ ـ *تفسير الثعلبي* ، لابي اسحاق أحمد الثعلبي (ت ٤٢٧) ، تحقيق علي عاشور ونظير الساعدي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٢٢ .

٥٥ ـ *تفسير جوامع الجامع* ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت القرن السادس) ، تحقيق مؤسّسة النشر الإسلامي ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١٨ .

٥٦ ـ *تفسير الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور* ، لجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٥٧ ـ *تفسير الطبري* ، لمحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ .

٥٨ ـ *تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان* ، للحسن بن محمّد القمي النيسابوري (ت ٧٢٨) ، تحقيق زكريا عميرات ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦ .

٥٩ ـ *تفسير الفخر الرازي* ، لمحمّد بن عمر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦) ، تحقيق خليل محيي الدين ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٦٠ ـ *تفسير القرطبي* ، لمحمّد بن أحمد الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ .

٦١ ـ *تفسير الكشّاف* ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨) ، نشر دار الفكر .

٦٢ ـ *تنقيح المقال في شرح علم الرجال* ، لعبدالله المامقاني (ت ١٣٥١) ، نشر المطبعة المرتضوية ، النجف الأشرف ١٣٥٠ .

٦٣ ـ *تهذيب الكمال* ، ليوسف بن عبد الرحمٰن المزّي (ت ٧٤٢) ، تحقيق أحمد علي عبيد وغيره ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٦٤ ـ *الخرائج والجرائح* ، لقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣) ، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه‌السلام ، نشر دار الكتاب الإسلامي ، بيروت .

٦٥ ـ *جلاء العيون*، لعبدالله شُبّر، نشر منشورات مكتبة نصيرتي.
٦٦ ـ *جنّة المأوىٰ*، لمحمّد الحسين آل كاشف الغطاء (١٣٧٣)، نشر دار الأضواء، بيروت ١٤٠٨.
٦٧ ـ *جمهرة الأمثال*، للحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٨٢)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وغيره، نشر دار الجيل، بيروت.
٦٨ ـ *جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب*، لمحمّد بن أحمد الدمشقي الباعوني (ت ٨٧١)، تحقيق محمّد باقر المحمودي، نشر دار إحياء الثقافة الاسلامية، قم ١٤١٥.
٦٩ ـ *الحيوان*، لعمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥)، تحقيق يحيىٰ الشامي، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٩٧.
٧٠ ـ *الخلفاء الراشدون*، لمحمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق حسام الدين القدسي، نشر دار الجيل، بيروت ١٤١٢.
٧١ ـ *دائرة معارف القرن العشرين*، لمحمّد فريد وجدي، نشر دار الفكر.
٧٢ ـ *دلائل الإمامة*، لمحمّد بن جرير الطبري الإمامي، نشر المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٣.
٧٣ ـ *دلائل الصدق*، لمحمّد حسن المظفّر (ت ١٣٧٥)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دمشق ١٤٢٢.
٧٤ ـ *ديوان ابن الفارض*، لعمر بن الحسين أبي حفص الحموي (ت ٦٣٢)، تحقيق مهدي محمّد ناصر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠.
٧٥ ـ *ديوان بهاء الدين زهير*، (ت ٦٥٦)، نشر دار صادر، بيروت ١٤٠٠.
٧٦ ـ *ديوان حسان بن ثابت*، تحقيق وليد عرفات، نشر دار صادر، بيروت.
٧٧ ـ *ديوان السيّد حيدر الحلّي*، لحيدر سليمان الحسيني الحلّي (ت ١٣٠٤، نشر منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٥.
٧٨ ـ *ديوان الشريف الرضي*، (ت ٤٠٦)، تحقيق إحسان عبّاس، نشر دار صادر، بيروت ١٩٩٤.
٧٩ ـ *ديوان عبد الباقي العمري*، لعبد الباقي العمري (ت١٢٧٨)، نشر مطابع

النعمان ، النجف ١٣٨٤ .

٨٠ ـ *ديوان الفرزدق* ، (ت ١١٤) ، نشر دار صادر ، بيروت .

٨١ ـ *ديوان هاشم الكعبي* ، (ت ١٢٣١) ، نشر منشورات الرضي ، قم ١٣٦٤ هـ‌ش .

٨٢ ـ *ديوان الوأواء الدمشقي* .

٨٣ ـ *ربيع الأبرار* ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) ، تحقيق سليم النعيمي ، نشر منشورات الشريف الرضي ، قم ١٤١٠ .

٨٤ ـ *رجال الطوسي* ، لمحمّد بن الحسن أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠) ، تحقيق محمّد صادق آل بحر العلوم ، نشر المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨١ .

٨٥ ـ *الردّ على المتعصّب العنيد* ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت ٥٩٧) ، تحقيق محمّد كاظم المحمودي ، ١٤٠٣ .

٨٦ ـ *زاد المسير* ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت ٥٩٧) ، تحقيق أحمد شمس الدين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ .

٨٧ ـ *سبل الهدىٰ والرشاد* ، لمحمّد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢) ، تحقيق عادل أحمد وعلي محمّد ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ .

٨٨ ـ *سنن ابن ماجة* ، لابن ماجة محمّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣) ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٩ ـ *سنن أبي داود* ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥) ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .

٩٠ ـ *سنن الترمذي* ، لأبي عيسىٰ محمّد بن عيسىٰ بن سورة (ت ٢٧٩) ، تحقيق أحمد محمّد شاكر ، نشر دار الكتب العلمية .

٩١ ـ *سير أعلام النبلاء* ، لمحمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، نشر مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٤١٤ .

٩٢ ـ *السيرة النبوية* ، لعبد الملك بن هشام الحميري البصري (ت ٢١٣) ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، نشر دار الجيل ، بيروت .

٩٣ ـ *السيرة النبوية* ، لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧١) ، تحقيق مصطفىٰ عبد الواحد ، نشر دار الفكر ، بيروت .

٩٤ ـ *شذرات الذهب* ، لأبي الفلاح عبد الحيّ الحنبلي (ت ١٠٨٩) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .
٩٥ ـ *شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار* ، لأبي حنيفة النعمان بن محمّد التميمي (ت ٣٦٣) ، تحقيق محمّد الحسيني الجلالي ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١٤ .
٩٦ ـ *شرح ديوان المتنبي* ، لعبد الرحمٰن البرقوقي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧ .
٩٧ ـ *شرح العقائد النسفية* ، لمسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢) تحقيق محمّد عدنان درويش .
٩٨ ـ *شرح المصطلحات الكلامية* ، مجمع البحوث الإسلامية ، نشر مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ١٤١٥ .
٩٩ ـ *شرح المقاصد* ، لمسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣) ، تحقيق عبد الرحمٰن عميرة ، نشر منشورات الشريف الرضي ، قم ١٤٠٩ .
١٠٠ ـ *شرح نهج البلاغة* ، لابن أبي الحديد المعتزلي عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦) ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٦ .
١٠١ ـ *شعراء الغريّ* ، لعلي الخاقاني ، نشر مكتبة المرعشي ، قم ١٤٠٨ .
١٠٢ ـ *طبقات فحول الشعراء* ، لمحمّد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١) ، تحقيق محمود محمّد شاكر ، نشر دار المدني ، جدّة .
١٠٣ ـ *الطبقات الكبرىٰ* ، لمحمّد بن سعد الهاشمي (ت ٢٣٠) ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلميّة ، بيروت ١٤١٠ .
١٠٤ ـ *العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية* ، لمحمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣) ، تحقيق جودت القزويني ، نشر بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ١٤١٨ .
١٠٥ ـ *عرائس المجالس (قصص الأنبياء)* ، لأبي إسحاق أحمد بن محمّد النيسابوري الثعلبي (ت ٤٢٧) ، نشر دار الكتب العلميّة ، بيروت ١٤١٤ .
١٠٦ ـ *العقد الفريد* ، لأحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٧) ، نشر دار

الأندلس ، بيروت ١٤١٦ .
١٠٧ ـ *عُمدة القاري بشرح صحيح البخاري* ، لبدر الدين بن أحمد العيني (ت ٨٥٥) ، نشر دار الفكر ، بيروت .
١٠٨ ـ *العواصم من القواصم* ، لمحمّد بن عبد الله بن العربي المعافري المالكي (ت ٥٤٣) ، تحقيق محبّ الدين الخطيب ، نشر دار البشائر ، دمشق .
١٠٩ ـ *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ، لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الصدوق (ت ٣٨١) ، تصحيح وتعليق حسين الأعلمي ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤٠٤ .
١١٠ ـ *الغدير في الكتاب والسنّة والأدب* ، لعبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت ١٣٨٩) ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤١٤ .
١١١ ـ *الفائق في غريب الحديث* ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) ، تحقيق علي محمّد وغيره ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٣٩٩ .
١١٢ ـ *فتح الباري شرح صحيح البخاري* ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمّد فؤاد ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠ .
١١٣ ـ *فتح القدير* ، لمحمّد بن علي الشوكاني الصنعاني (ت ١٢٥٠) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣ .
١١٤ ـ *الفتوح* ، لأحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦ .
١١٥ ـ *الفخري في الآداب السلطانية* ، لابن الطقطقي محمّد بن علي طباطبا ، تحقيق عبد القادر محمّد مايو ، نشر دار القلم العربي ، حلب ١٤١٨ .
١١٦ ـ *فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم* ، لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني (ت ٤٣٠) ، تحقيق صالح بن محمّد العقيل ، نشر دار البخاري ، المدينة ١٤١٧ .
١١٧ ـ *فضائل الصحابة* ، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) ، تحقيق وصي الله بن محمّد عبّاس ، نشر دار ابن الجوزي ، الرياض ١٤٢٠ .
١١٨ ـ *فيض القدير لشرح الجامع الصغير* ، لمحمّد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١) ، تحقيق أحمد عبد السلام ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

١١٩ ـ *الكافي* ، لمحمّد بن يعقوب الرازي الكليني (ت ٣٢٩) ، تحقيق ونشر دار الأسوة للطباعة والنشر ، طهران ١٤١٨ .

١٢٠ ـ *الكافي* ، للكليني محمّد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩) ، تحقيق علي أكبر الغفاري ، نشر دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٦٧ .

١٢١ ـ *كامل الزيارات* ، لجعفر بن محمّد بن قولويه (ت ٣٦٧) ، تحقيق عبد الحسين الأميني ، نشر المطبعة المرتضوية ، النجف ١٣٥٦ .

١٢٢ ـ *الكامل في التاريخ* ، لابن الأثير علي بن محمّد الجزري (ت ٦٣٠) ، تحقيق عبد الله القاضي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

١٢٣ ـ *الكامل في اللغة والأدب* ، لمحمّد بن يزيد أبي العبّاس المبرّد النحوي (ت ٢٨٥) ، نشر مؤسّسة المعارف ، بيروت .

١٢٤ ـ *كتاب سيبويه* ، لعمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠) ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، نشر دار الجيل ، بيروت .

١٢٥ ـ *كشف الغمّة* ، لأبي الحسن علي بن عيسىٰ بن أبي الفتح الأربلّي (ت ٦٩٣) ، تحقيق هاشم الرسولي المحلّاتي ، نشر مكتبة بني هاشم ، قم ١٣٨١ .

١٢٦ ـ *كشف المحجّة* ، لابن طاووس علي بن موسىٰ بن جعفر (ت ٦٦٤) ، نشر المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٧٠ .

١٢٧ ـ *الكنىٰ والأسماء* ، لأبي بشر الدولابي (ت ٣١٠) ، نشر مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الهند ١٣٢٢ .

١٢٨ ـ *لباب النقول في أسباب النزول* ، لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) ، تحقيق حسن تميم ، نشر دار إحياء العلوم ، بيروت ١٤١٤ .

١٢٩ ـ *لسان العرب* ، لابن منظور محمّد بن مكرم (ت ٧١١) ، تحقيق علي شيري ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨ .

١٣٠ ـ *لسان الميزان* ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ، نشر مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٤٠٦ .

١٣١ ـ *اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء* عليها‌السلام ، لمحمّد بن علي بن أحمد التبريزي (ت ١٣١٠) ، تحقيق هاشم الميلاني ، نشر الهادي ، قم ١٤١٨ .

١٣٢ ـ *مجالس المؤمنين* ، لنور الله بن ضياء الدين الحسيني التستري (ت ١٠١٩) ، طبعة حجرية .

١٣٣ ـ *مجمع البحرين* ، لفخر الدين بن محمّد علي الطريحي (ت ١٠٥٨) ، تحقيق أحمد الحسين ، نشر مؤسّسة الوفاء ، بيروت ١٤٠٣ .

١٣٤ ـ *مجمع البيان في تفسير القرآن* ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

١٣٥ ـ *مجمع الزوائد* ، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧) ، نشر دار الكتب العليمة ، بيروت ١٤٠٨ .

١٣٦ ـ *المراجعات الريحانية* ، لمحمّد الحسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣) ، تحقيق محمّد عبد الحكيم الصافي ، نشر دار الهادي ، بيروت ١٤٢٤ .

١٣٧ ـ *مروج الذهب* ، لعلي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦) ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، نشر دار الأندلس ، ١٤١٦ .

١٣٨ ـ *المسائل السروية (سلسلة مؤلّفات المفيد)* ، للشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣) ، تحقيق صائب عبد الحميد ، نشر دار المفيد ، بيروت ١٤١٤ .

١٣٩ ـ *المستدرك على الصحيحين* ، لأبي عبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ .

١٤٠ ـ *مستدرك الوسائل* ، لحسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠) ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث ، بيروت ١٤١١ .

١٤١ ـ *المسند* ، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) ، نشر دار صادر ، بيروت .

١٤٢ ـ *مسند أبي يعلىٰ* ، لأحمد بن علي بن المثنّىٰ التميمي الموصلي (ت ٣٠٧) ، تحقيق حسين سليم أسد ، نشر دار المأمون ، دمشق ١٤١٠ .

١٤٣ ـ *مصابيح الأنوار* ، لعبد الله شُبّر ، نشر مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ١٤٠٧ .

١٤٤ ـ *المصنّف في الأحاديث* ، لمحمّد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥) ، تحقيق

سعيد اللحّام، نشر دار الفكر، بيروت ١٤٠٩.
١٤٥ ـ *معاني الأخبار*، للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق علي أكبر الغفّاري، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٣٦١.
١٤٦ ـ *معجم البلدان*، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٧ ـ *المعجم الكبير*، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠)، تحقيق حمدي عبد المجيد، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧.
١٤٨ ـ *معجم ما استعجم من أسماء البلاد*، لعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧)، تحقيق مصطفىٰ السقّا، نشر عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣.
١٤٩ ـ *المعجم المجمعي*، لعبد الحسين محمّد علي بقّال، نشر مؤسّسة الطباعة والنشر، طهران ١٤١٦.
١٥٠ ـ *معجم المطبوعات العربية والمعرّبة*، ليوسف إليان سركيس، نشر عالم الكتب.
١٥١ ـ *المعرفة والتاريخ*، ليعقوب بن سفيان الفسوي (٢٧٧)، تحقيق خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩.
١٥٢ ـ *مغني اللبيب*، لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١)، تحقيق مازن المبارك وغيره، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٢.
١٥٣ ـ *مقاتل الطالبيّين*، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٤)، تحقيق أحمد صقر، نشر مؤسّسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٨.
١٥٤ ـ *مقباس الهداية في علم الدراية*، لعبد الله المامقاني، تحقيق محمّد رضا المامقاني، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ١٤١١.
١٥٥ ـ *مقدّمة ابن خلدون*، لعبد الرحمٰن بن محمّد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣.
١٥٦ ـ *مقتل الحسين*، لأبي المؤيّد الموفق بن أحمد المكّي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨)، تحقيق محمّد السماوي، نشر أنوار الهدىٰ، قم ١٤١٨.
١٥٧ ـ *مقتل الحسين*، لعبد الرزّاق الموسوي المقرّم، نشر دار الكتاب الإسلامي،

بيروت ١٣٩٩ .

١٥٨ ـ *مقتل الحسين وقيام المختار* ، لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) ، نشر أنوار الهدىٰ ، قم ١٤٢١ .

١٥٩ ـ *الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف* ، لابن طاووس علي بن موسىٰ بن جعفر (ت ٦٦٤) ، تحقيق فارس الحسّون ، نشر دار الأُسوة ، قم ١٤١٤ .

١٦٠ ـ *مناقب آل أبي طالب* ، لمحمّـد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨) ، تحقيق يوسف البقاعي ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤١٢ .

١٦١ ـ *مناقب الإمام أمير المؤمنين* عليه السلام ، لمحمّـد بن سليمان الكوفي القاضي (ت ق ٣) ، تحقيق محمّـد باقر المحمودي ، نشر إحياء الثقافة الإسلامية ، قم .

١٦٢ ـ *المؤتلف والمختلف* ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمـدي (ت ٣٧٠) ، تحقيق عبـد الستّار أحمد فرّاج ، نشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨١ .

١٦٣ ـ *نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار* ، لعلي الحسيني الميلاني ، نشر دار المؤرّخ العربي ورابطة أهل البيت عليهم السلام الإسلامية العالمية ، بيروت ١٤١٨ .

١٦٤ ـ *نهاية الإقدام في علم الكلام* ، لمحمّـد بن عبـد الكريم الشـهرستاني (ت ٥٤٨) ، تحقيق الفرد جيوم ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، بيروت .

١٦٥ ـ *النهاية في غريب الحديث* ، لأبي السعادات المبارك بن محمّـد ابن الأثير (ت ٦٠٦) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، نشر المكتبة العلمية ، بيروت .

١٦٦ ـ *نهج البلاغة* ، جمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦) ، تحقيق صبحي الصالح ، نشر دار الكتاب المصري ، بيروت ١٤١١ .

١٦٧ ـ *هديّة العارفين* ، لإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩) ، نشـر دار الكـتب العلميّة ، بيروت ١٤١٣ .

١٦٨ ـ *وسائل الشيعة* ، لمحمّـد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤) ، تحقيق ونشر مؤسّسـة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ١٤١٣ .

١٦٩ ـ *يزيد في محكمة التاريخ* ، لجواد القزويني ، ١٤٢٠ .

١٧٠ ـ *ينابيع المودّة* ، لسليمان بن إبراهيم القندوزي (ت ١٢٩٤) ، تحقيق علي جمال أشرف ، نشر دار الأُسوة ، قم ١٤١٦ .

٧ ـ فهرس محتويات الكتاب

